الأقصودة السوريّة أو القصة الشعرية

رواية «الشوك والقَرنفُل» ليحيى السنوار

الإبداع عند الصغار والكبار

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1854» الأحد 2024/2/18م - 8 شعبان 1445هـ — 200 ل.س

لوحة للفنانة التشكيلية رزان عكة

لوحة للفنانة التشكيلية سيماف أمين

كتبها: د. محمد الحوراني

فِلَسْطِينٌ في مِرْبَدِ البَصْرَة

أنْ تتحدّثَ عن البصرة يعني أن تتوضّأ بماء الطُّهر، وتتفيّأ بظلال الثّقافة والأدب واللُّغة والفلسفة العميقة جُذورُها في تاريخها وبينَ أهلها، لتَغْدُوَ زاهداً في الحياة، ناسكاً في محْراب النَّقاء الصُّوفيّ بعدَ أن سيطرَ على قلوب النُّسّاك وعُقولهم، وعلى رأسهم العَلّامةُ العارفُ والمُتصوِّفُ النّاسكُ الإمامُ الحَسَنُ البَصْريّ.

نعم، هكذا هيَ مدينةُ السَّيّاب، الذي عشقَ العراقَ بأحواله كُلِّها، حتّى بظلامه كونَهُ أنارَ طريقَهُ، وتَغنّى بجَمالِ شمس البصرة الحارقة لأنّها كانت الأجملَ بينَ شُموس الكون.

إنّها مدينةُ العلْم، وحاضرَةُ الثّقافة والفكْر واللُّغة، وحاضنةُ الانتماء والأصالة والانحياز إلى القضايا الإنسانيّة العادلة، وعلى رأسها قضيّةُ فلسطين بكُلّ ما تَحْملُهُ من مظلوميّة وتآمُر على شعب هُجِّرَ منْ أرضه بعدَ أن ارتُكِبَتْ بحقِّه مئاتُ المجازر المُروِّعة بعدَ الاحتلال الصهيونيِّ لوطنه.

ولأنَّ العراقَ عُموماً، والبَصْرَةَ خُصوصاً، كانا دائمَي الانحياز إلى فلسطين، فقد كانت فلسطينُ بكلّ ما تَحملُهُ من وَجَع وعذاب ومجازرَ، الحاضرَ الأقوى في (الدَّورَة الخامسة والثلاثينَ لمهرجان المِرْبَد ٢٠٢٤)، وهي الدورةُ التي حملَت اسمَ الشاعر العراقيِّ البَصْريِّ الكبير أحمد مطر، الذي لم يَمْلكْ سوى الاعتذار إلى القُدس عمَّا أصابَها من ظُلْم وفُجور على أيدي الاحتلال أمامَ عَجْز الأنظمة العربيّة وتخاذُلها عن القيام بواجبها إزاءَ ما تتعرَّضُ لهُ فلسطينُنا وقُدسُها عَرُوسُ عُروبَتنا، وهي التي علَّمَتْنا أنَّ حُروفَ التّاريخ مُزوَّرةٌ حينَ تكونُ من دُون دماء، كيفَ لا، والنَّارُ تصهلُ منْ وراء شعبها، والقذائفُ لا تنام عيونُها، وأبي على ظهري، وفي رَحمي جنين عُريان دُونَ فم ولا بَصَر، تَكوَّرَ في الظَّلام، في بركة الدَّم، وهوَ يفركُ أنفَهُ بيَدِه...؟!

نعم، هذا هو الواقعُ المأساويُّ لأطفال فلسطينَ كما يُصوِّرُهُ سيَّابُ البَصْرَة، لكنَّ مأساويَّةَ الواقع وقَتامَتَهُ يجبُ ألّا تُفْقدانا الأملَ بالنَّصْر والتَّحرير، حتّى وإنْ كانت الأنظمةُ العربيّةُ جيلَ الدَّجَل والرَّقْص على الحبَال كما صَوَّرَهُمْ نزار قبّاني، فالآمالُ معقودةٌ على أطفال فلسطينَ لأنَّهم بُذورُ الخصْب في حياتنا العقيمَة، وهُمُ الجيلُ الذي سيَهْزمُ الهزيمَة.

هكذا كانتْ فلسطينُ بكامل جَلالها وقُدْسيَّتها حاضرةً بقُوَّة في مهرجان المِرْبَد الأخير بما قدَّمَهُ الأُدَباءُ والشُّعراءُ الذينَ جاؤُوهُ منْ مُعظَم الدُّوَل العربيَّة وغير العربيّة، كما كانتْ مُعظَمُ قضايانا العربيّة حاضرةً في نُصوص الشُّعراء وجلسات المُثقّفينَ في هذا العُرْس الثقافيِّ الكبير.

لقد أثبتَ مهرجانُ المِرْبَد في دورته الخامسة والثلاثينَ هذا العامَ أنَّ القضيَّةَ الفلسطينيّةَ لا تزالُ الحاضرَ الأقوى عندَ شُعراء الأمَّة في وَطَنهم والمهجر معاً، بل إنَّ حربَ الإبادة التي يشنُّها الكيانُ الصهيونيُّ على غزَّةَ جَعلَت الشُّعراءَ والأُدَباءَ في المِرْبَد يُعْلنُونَ انحيازَهُمُ المُطْلَقَ إلى القضيَّة الفلسطينيّة، كيفَ لا؟ والدَّمُ لا يزالُ دفّاقاً، والصَّرْخةُ لا تزالُ تُمزِّقُ الضَّميرَ، والقبورُ مفتوحة، في فمها أكثرُ منْ سُؤال، ولم يزلْ مدخلُ (كفر قاسم) مُروِّعاً من هَوْل تلكَ الليلة السَّوداء.

كما أنَّ الأملَ كانَ حاضراً عندَ الأُدَباء في المِرْبَد بأنَّ فجرَ النصر الفلسطينيّ غدا أقربَ إلى الشَّعب الفلسطينيِّ من حَبْل الوريد، ولأنَّ فلسطينَ، كانتْ، وستبقى، قِبْلَتَنا وجوهرةَ قلادَتنا، كانَ لا بُدَّ لنا منْ أنْ نَدْفعَ ثَمَناً غالياً لتحريرها منْ دَنَس المُحتلّ، فالفجرُ الفلسطينيُّ لا يُشبهُ غيرَهُ على الإطلاق، إنّهُ الفجرُ المُعمَّدُ بطُهْر دماء الأطفال وقداسة أرواح النِّساء وكبرياء الشَّباب وعزَّتهم وروحانيَّة الشُّيوخ وحكْمَتهم، وهو الفجرُ الطّالعُ منْ نداء الأرض عندَ فدوى طوقان بقولها:

بدا الفجرُ مُرْتَعشاً بالنَّدى
يُذَرْذِرُهُ في الرُّبا والسُّفوحْ
ومَرَّ بَطيءَ الخُطا فوقَ أرض
مُضَمَّخَة بنجيع نفوحْ
تَلُفُّ ذراعَين مُشْتاقتَين
على جَسَد هامد مُستَريحْ

شُكراً للعراق وأُدَبائه ومُؤسَّساته الثقافيَّة، وشُكراً للبَصْرَة ومِرْبَدها، وهو يُعيدُ إلينا بهاءَ الحُضور الفلسطينيِّ في الشِّعْر العربيِّ الحديث والمُعاصر، مُحاولاً التَّعْشيقَ بينَ الأجيال المُختلفة بأصالتها وصدْق انتمائها، ويَجْعَلُنا أكثرَ يقيناً باقتراب بُزوغ الفجر الفلسطينيِّ وزوال المُحتلِّ الصّهيونيِّ على الرَّغْم منْ حرب الإبادَة التي تُحاولُ إفناءَ الشعب الفلسطينيِّ وتدميرَ هُويَّته وثقافته.

رسائل تشرينية
٦ تشرين الأول ١٩٧٣م
٧ تشرين الأول ٢٠٢٣م

كتب: د. محمد المحمد الحسين

تبدو التشابهات واضحة وضوح الشمس؛ هجومٌ مفاجئ من المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على الكيان الصهيوني وهي في غفلة من أمرها، وقوة عسكرية تهاجم من الجهة الأخرى، وتوقيت يقابل عيداً دينياً صهيونياً، وأخطاءٌ من الأجهزة الاستخباراتية التي يُفترض أنها من الأرفع شأناً في العالم، بيد أن الهجوم المفاجئ الذي وقع على الكيان الصهيوني أشد وطأةً من ذلك الذي واجهته قوات الاحتلال قبل خمسين عاماً أثناء حرب 6 تشرين الأول 1973م، فقد تكبدت قوات الاحتلال الصهيوني عدداً كبيراً من القتلى والأسرى في أول أيام الحرب، مقارنةً بعدد قتلى الكيان الصهيوني في حرب تشرين التحريرية على الكيان الصهيوني عام 1973م، علاوةً على ذلك ضربت قوات المقاومة الفلسطينية أهدافاً من عمق الكيان الصهيوني، ويبدو من حجم وتعقيد الهجمات التي أصابت أهدافاً عديدة وانخرط فيها آلاف المقاتلين، أن الهجوم كان قيد التخطيط طيلة أشهر إن لم تكن أطول من ذلك بكثير.

لقد كان من المفترض أن يكون جمع المعلومات الاستخباراتية من غزة أسهل بالنسبة للكيان الصهيوني، حيث تمتلك قوات الاحتلال بالفعل أنظمة رقابة ضخمة لا تقارن بما استخدمته مع مصر وسورية في مطلع السبعينيات، إذاً كيف أمكن للكيان الصهيوني أن يفشل في اكتشاف مخطط هجوم قوات المقاومة الفلسطينية؟

تشير التفسيرات الأولى لما جرى من جهة الخبراء والصحفيين إلى أن المشكلة على الأرجح تتعلق بجمع المعلومات الاستخباراتية من جانب الكيان الصهيوني، فلعلهم قد اعتمدوا أكثر من اللازم على المصادر الإلكترونية لرصد التحركات في غزة، التي عملت قوات المقاومة الفلسطينية كيف تتخلص منها، على سبيل المثال باستخدام الطائرات المُسيّرة لتعطيل الأنظمة الإلكترونية على الحدود بين القطاع وقوات الاحتلال الصهيونية، وهناك احتمالٌ ثانٍ، وهو أن الكيان الصهيوني افتقد المصادر الحيّة من أهل القطاع، أو المصادر الموثوقة، وتقول نظرية ثالثة: إن الاستخبارات الصهيونية شُغلت بتهديدات متنوعة، حيث تمركزت معظم قواتها قرب الضفة الغربية قبيل هجوم قوات المقاومة الفلسطينية، وأنه من الممكن أن تكون قوات المقاومة الفلسطينية قد استخدمت وسائل الخداع، وأقنعت قوات الاحتلال بأنها ليس لديها القوة لإعلان الحرب على قوات الاحتلال وأنها مستعدة للتعايش مع خطط التطبيع الصهيوني، وتبين أن الإخفاقات الاستخباراتية يمكنها أن تنبع أيضاً من عدم القدرة على تخيل سيناريوهات محددة.

إن التشتت والبطء الذي ظهر في ردّ الكيان الصهيوني يشي بقوة بأن قادة قوات الاحتلال السياسيين والعسكريين يعانون الالتباسات النفسية ذاتها التي عانتها رئيسة الوزراء الصهيونية «غولدا مائير» ومستشاروها وكذلك بعض مسؤولي حكومة الولايات المتَّحدة الأمريكية في حرب تشرين التحريرية 1973م، ففي كلتا الحالتين يظهر لنا أن قادة الكيان الصهيوني أساؤوا قراءة أعدائهم العرب، وهوَّنوا بشدّة من قدرتهم على المخاطرة، وبالغوا في تقدير قدرتهم الخاصة على الردع.

إن ذلك القصور الذهني يمكنه أن يعمي أي جهاز استخبارات حديث مهما كان مستوى تطوره وأيّا كانت الحكومة التي يُتبع لها، ووصف «بنيامين نتنياهو» توصيفاً حاداً بالنسبة للحرب معتبراً أنها مسألة حياة أو موت بالنسبة للكيان الصهيوني، وأن السابع من تشرين الأول يوم أسود في تاريخ الكيان الصهيوني، وهناك عدد من المسؤولين قارنوا بين حرب 6 تشرين 1973م، وحرب 7 تشرين 2023م، فقد أشار الدبلوماسي والقنصل السابق في نيويورك «ألون بنكاس» في صحيفة هآرتس يوم 8 تشرين الأول: « لا يمكن المبالغة في تقدير حجم وقوة موجات الصّدمة المدوّية لهجوم يوم السبت على الكيان الصهيوني؛ وكان الهجوم مهيناً بقدر ما كان مميتاً».

ومن بين المعلقين أيضاً المحلل والكاتب «ناحوم برنياع» الذي كتب في ثاني أيام اندلاع الحرب: «كيف أن ملايين من اليهود الذين تابعوا أمس، دُهشوا وتخوفوا من هذه الحرب التي لم يعدهم لها أحد؛ في نظري 7 أكتوبر 2023م كان إهانةً عظمى، إهانةً لم يشهد لها جيش الكيان الصهيوني مثيلاً في كل سنواته، وسأشرح السبب: الإهانة الأولى كانت استخباراتية، مرة أخرى مثلما في عام 1973م، رأت المنظومة كل المؤشرات الدالة لكنها استنتجت بغرورها أن هذه مجرد مناورة، تدريبات عابثة... الإهانة الثانية كانت السهولة التي تجاوز فيها عناصر المقاومة الفلسطينية الجدار.. الإهانة الثالثة كانت السهولة التي عادوا فيها إلى غزة، ومعهم عشرات الرهائن، أما الإهانة الرابعة فهي البطء الذي ردّ به جيش الاحتلال على التوغل؛ عشرات من المقاومين الفلسطينيين يتجولون في معسكر مدرعات وكأنهم يتجولون في بيوتهم ولم توجد مروحية هجومية تطلق عليهم النار؛ ستقولون إن فشل يوم 6 أكتوبر 1973م واجهنا أكبر الجيوش العربية، وليس عدداً من المقاومين».

ومما ذكر نرى كيف أن قوات المقاومة الفلسطينية برهنت للعالم أجمع وأوصلت رسالةً للعالم العربي والغربي قدرتها وصمودها رغم تخلي الكثيرين عنها، وكيف استطاعت إرباك الصهاينة من كبيرهم إلى صغيرهم رغم الدعم الكبير الذي يحصلون عليه من الولايات المتَّحدة الأمريكية والغرب.

وبذلك يمكن القول بأن عملية طوفان الأقصى أحدثت صدمةً وذهولاً في الشارع والمؤسسات الصهيونية، وأثارت ردود فعل دولية متباينة، وقيام الكيان الصهيوني بطلب المساعدة من الولايات المتَّحدة الأمريكية والدول الغربية لوقف الصواريخ الفلسطينية.

أخيراً؛ أعتقد أن الرسالة قد وصلت لبني صهيون ومن لف لفيفهم...بأن القضية الفلسطينية قضية حق؛ ولا يموت حق وراءه مطالب.

الإبداع عند الصغار والكبار

كتب: د. محمد جهاد الجمل

تُجمع تعريفات الإبداع على أنه تغيير لمنظورنا نحو العالم وهو بإيجاز شيء مميز وجديد، ممّا يغير مجالاً من السلوك بطريقة مميزة، أو إنه طاقة بشرية غير عادية للفهم والخلق، أو إنه القدرة على إنتاج معرفة جديدة والانتقال لحدود غير عادية في مجال الاكتشاف أو الاقتراح، إن إبداع الكبار يظهر عند القلائل من الموهوبين في مجال من مجالات السلوك الإنساني، وله صفات معينة مثل الجدّة والريادة والتفوّق والتميز والاعتراف من العاملين في مجال الإبداع غير العادي، وقد ركز /فليدمان/ ورفاقه على إيجاد إطار عملي نافع لفهم الإبداع عند الكبار إذ يرون أن هذا الإبداع يتضمن ثلاث وجهات نظر: وهي الأفراد وتوجهاتهم واهتماماتهم والمجال الذي يبدعون من خلاله، ومجال الأحكام والخبرات الثقافية المقبولة والموجودة لديهم، والناس الذين يعدّون مبدعين بشكل عام هم أولئك الذين يغيّرون مجال المعرفة أو يخلقون مجالات جديدة، وفي دراسة حديثة للعقل غير العادي عام 1997 طوّر /جارنر/ تصنيفاً جديداً للإبداع مميزاً لأربعة أنواع من المبدعين غير العاديين: الأسياد، الصانعون، المستبطنون الذين يفحصون أفكارهم، وأخيراً المؤثرون.

ومن الأمثلة على هذه الأصناف ما يأتي: فمثال الأسياد (موزارت) الذي لم يكن له رغبة لأن يخلق أنواعاً جديدة، ولكن أن يكون سيداً أو مسيطراً على شكل الفن بشكل يفوق أي فرد آخر.

الصانعون: (فرويد)، أما المستبطنون فتمثلهم (فرجينا) التي كانت مستحوذة شخصياً وثقافياً إذ كانت كاتبة ومتقدمة تفكيراً، والمؤثرون من أمثالهم (غاندي) فهو مثال للمعارضين بلا عنف.

يرى (ورت) أن عوامل مشتركة لها دور كبير في تقوية سمة الإبداعية العالية، منها التعرض المبكر للمخاطر، والفرصة للتفوق على الأقل في مجال اهتمام ما، واتباعهم لنظام يمكنهم السيطرة على مجال واحد عندما كانوا صغاراً، كذلك التحفيز المستمر والبيئة الممتدة الواسعة، والمبدعون عادة ليسوا بالضرورة الأكبر بين إخوتهم، أضف إلى ذلك الاهتمام الاجتماعي وعموماً هناك صفات مشتركة لديهم فسمات الطفولة متشابهة لدى المبدعين، وما يسمى الشعور تحت الحصار يجمعهم، وكونهم على الطرف والحافة، وأخيراً توافر الطاقة العالية والإنتاجية.

وبعدُ فالإبداع: عبارة عن نشاط عقلي يساعد على خلق أشياء جديدة، وضبط القدرة على التخيل والابتكار، وتتميز هذه العملية بتوليد الحلول والأفكار، وهو موجود بصورة كاملة عند كل فرد من أفراد المجتمع، وموزّع على الجميع، ولكن يختلف بحسب اختلاف الأفراد، فمنهم من تكون لديه النسبة مرتفعة ومنهم من تكون قليلة ومنهم متوسطة، فمن المستحيل أن نجد شخصاً يكون الإبداع لديه صفراً، كما هو الحال أنه من المستحيل من يكون ذكاؤه يساوي صفراً.

وجه الشبه والاختلاف بين إبداع الصغار والكبار:

الأعمال الإبداعية تتضمن بشكل ظاهر النمو والتميز، وهي تتيح عمق المعرفة والفهم في أي مجال خاص.

والفكرة الإبداعية كفكرة ذات وجوه متعددة موجودة في قدرات الذكاء المختلفة ويعبّر عنها في مجالات متعددة، وهي بحاجة إلى متفرج أو مستمع لكي يقوّمها، وتتضمّن قيمة كبرى لإسهامها الواسع بتحقيق الخير للمجتمع وعليه فإنّ الفروق بين إبداع الصغار والكبار تتضمن صفات مشتركة يتقاسمها إبداع الصغار مع الكبار.

الأقصودة السوريّة أو القصة الشعرية كخلاصة لجنسَيْن أدبيين

كتب: علي الرّاعي

قبل أن تتوهج «القصة القصيرة جداً» بعد منتصف العقد الأخير –التسعينيات– من القرن الماضي، كان ثمة بحث دؤوب عن الإرهاصات الأولى لهذا الشكل القصصي المُفعم بالشعرية، الذي يُحاول أن يشقّ طريقه؛ ليُشكّل نوعه الإبداعي الذي سيُتفق –بعد جدل طويل- على ملامحه بعد ما يُقارب من عقدين من السنين.. أقصر قصة وكان أن عدّ النقاد حينها؛ أنّ أقصر قصة في العالم هي للكاتب الغواتيمالي أوجستو مونتيروسو (١٩٢١-٢٠٠٣) وهي: "حين استيقظ؛ كان الديناصور لا يزال هنا"، غير أن الحقيقة التي لم ينتبه لها أحد حينها؛ إنّه في أحد المنتديات الأدبية للقاص الأمريكي أرنست همنغواي سنة ١٩٢٤، وعقب عرضه نصّه "للبيع" وقف ناصحاً: "اكتبوا قصّة بست كلمات" ومن حينها؛ كان ثمة سعي صوب التكثيف ليس في القصة وحدها، بل عدوى ستطول أواخر القرن العشرين الكثير من الأجناس الإبداعية، ليس السردية وحسب، بل الفنون البصرية على تنوعها أيضاً، أواخر الثمانينيات.

كان ذلك أواخر عقد الثمانينيات من القرن العشرين، فقد نشأ في حركة الشعر، ما أُطلق عليه حينها، بقصيدة البياض، بمعنى كانت الصفحة تكتفي بجملة أو جملتين للقول الشعري، ومن ثم كان على باقي البياض من تلك الصفحة، أن يؤوّل ما تبقى من معنى، أو من المعاني التي كانت تبقى في قلب الشاعر، فقد عُدَّ هذا التكثيف، أو هذا الإيحاء يكفي لوصف الحالة الشعورية، والشعرية، في مقابل ذلك أيضاً، وما زلنا هنا في أواخر عقد الثمانينيات من القرن العشرين نشأ في القصة القصيرة نوع مشابه لقصيدة البياض، هي القصة – الومضة، هكذا بالحرف، ما أطلق على القصة القصيرة، التي ستسمى فيما بعد خمس سنوات تقريباً "القصة القصيرة جداً" فالمفارقة هنا، أن مصطلح "الومضة" ستستعيره منها قصيدة البياض فيما بعد.!

إعارة مصطلح

ورغم أن القصة القصيرة جداً، التي كانت تسمى لبضع من الوقت القصة الومضة، وذلك حتى قُدّر لها بعض النُقاد في منتصف التسعينيات، ورسّخوا لها حملة أشبه بالحملات التعبوية، التي ترافق عادةً إنشاء حزب سياسي، ورغم ذلك أقول: إنّ القصة القصيرة جداً، لم تكن نتيجة لتطورات ومتغيرات، وإنما كانت منذ قديم أدبنا العربي، وربما كانت تأتي على شكل حكم، أو مآثر على لسان الأعراب، وكانت تسعى دائماً إلى تقديم شيء ما من النصح، أو الإرشادات، أو حسب حاجات ومتطلبات التفكير والحياة آنذاك، وربما كانت نوادر جحا خيرَ مثال على شكل هذه القصة، التي جهد «مشحنو» الحملة التعبوية السابقة الذكر، لترسيخها جنساً أدبياً مستقلاً عن القصة القصيرة المتعارف عليها.. وهذا أيضاً ما ينسحب على القصيدة الومضة، أو القصيدة الوثبة، كما أطلق عليها أحد الشعراء ذات حين.. أي إنها توافرت في تراثنا العربي على مدى السنين.

اللعب اللغوي

وما يزيد العلاقة اشتباكاً بين القصة والقصيدة –حسب الكثير من النقاد- هو استمرار اللعب اللغوي بوصفه عنصراً مهمّاً في كتابة القصة القصيرة بفتنة اللغة المجازية التي تجمع بين شاعرية القص والقيمة الجمالية، وهذا من دوافع إطلاقنا على هذا الشكل الإبداعي بوقت مُبكر بـ«الأقصودة»، لما يظهر من تماس يصل إلى حد الحيرة مع قصيدة الومضة التي تعتمد الحكائية، والهايكو خاصة.

ومن ثم كان استخدام القصة القصيرة جداً للتكثيف والإيماض والتوقيع والمفارقة، كمسارات تتكئ عليها في الكتابة القصيرة جداً سواء انتمت إلى الأنواع النثرية أو الشعرية، وكان أن دخل "الحدث" وكذلك الكثير من السرد إلى قصيدة الومضة، حتى ضاعت الحدود بين الشكلين الإبداعيين، ومن هنا لم تبقَ القصة قصة خالصة، ولا بقي الشعر شعراً صرفاً، ولم يعد يختلف أحدهما عن الآخر في طرائقه.. وهنا حصلنا على شيء مختلف عنهما كليهما.

إشكالية التجنيس

فمن المؤكد، إن القصة القصيرة تقدم نفسها ببريق خاطف، حيث أحياناً تتداخل عدة أزمنة، وعدة فضاءات، ودلالات، وتتعانق البداية، والعقدة، والنهاية للحدث، ثم وفي الختام، تلقي الحصى الأخيرة، التي تثير في الماء الراكد دوائر عدة، كما تثيرها في النفس اللاهثة وراءها.. والقصة القصيرة جداً، هي قصيدة منثورة لما فيها من تكثيف لغة ضروري وملحّ.. والتكثيف لا يأتي إلا عبر الكلمات الموحية، الموجزة، وربما حملت رموزاً عدة، وهذا لا يكون إلا عبر اللغة الشعرية، فالومضة، وهو المصطلح الذي أهدته القصة القصيرة جداً للقصيدة، هي في النهاية عليها أن تترك وميضاً ما في النفس، تساؤلاً، دهشة، أو ابتسامة، خوفاً، أو غضباً.. وميض لا بدّ يحمل انفعالاً ما.

الأقصودة

ومن هنا؛ أرى أن القصة القصيرة جداً، أو الومضة هي شكل، أو محاولة، أو تجربة من أشكال وتجارب القص الشعري، وهي عندما ضحت بلعبة السرد لتستعيض بالكثافة، أو الدلالة، أو الإيحاء.. إلخ.. كلُّ ذلك أدناها من روح الشعر.. وعندما انحازت القصيدة إلى الحكائية، وأخذت من السرد ما شاء لها ذلك، فقد اقتربت من روح القصة، ومن ثمّ لنحصل على هذه «الخلاصة» التي هي «الأقصودة»!

فقد كان يُميز القصة القصيرة جداً عن القصيدة الومضة البناء التركيبي لكلٍّ منهما، غير أنه بتداخل الأنواع واستعارة آلياتها وتوظيف هذه الاستعارة لكلا الشكلين الإبداعيين، واحدٌ قادمٌ من استنفاد القصيدة لجمالياتها القديمة من وزن وقافية، وكذلك من وصول قصيدة النثر إلى تقليدية ما، جعلت الجميع يكتب شبه نص واحد، والثاني قادم من تجاهل فن القصة القصيرة من مختلف المنابر الإعلامية والثقافية، وعدم توافر القارئ الصبور الذي يستطيع الجلوس لقراءة قصة من عدة صفحات سواء كان ذلك في كتاب أم على صفحة «فيسبوك»، لا سيما أمام تسارع حراك الحياة الذي لا يلوي على سكون.. كلُّ ذلك بدد حدود المفارقة والفصل بين القصة القصيرة جداً، وبين قصيدة الومضة!

خلاصة جماليتين

القصة القصيرة جداً، ذلك الإبداع الذي يُحتفى به منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، وصار له كتّابه الذين أبدعوا فيه، وحققوا حضوراً من خلاله، والذي أعتقد إنه صار الاتجاه الأبرز في كتابة القصة القصيرة اليوم، هذا الإبداع الذي استطاع، وبمراوغة ماكرة وفيه الكثير من الإبداع، أن يقوم على أهم جماليتين من القصيدة والقصة القصيرة، فقد أخذ من الأولى الشعرية، وأخذ من الثانية الحدث، ومن ثمّ كان أن اختصر الجنسان الإبداعيان –الشعر والقصة– في جنس إبداعي جميل هو القصة القصيرة جداً، حتى كاد أن يطغى على الاثنين معاً، واليوم ثمة الكثير من المجموعات الشعرية، تلك التي أخذت شكل القصيدة الومضة تكثيفاً لها، تذهب باتجاه القصة القصيرة جداً، وثمة الكثير من المجموعات القصصية التي ادعت أنها قصة قصيرة جداً، يمكن قراءتها على أنها قصائد، وفي الحالتين فقد تقدم المشهد الثقافي شكلاً إبداعياً اليوم قائم على خلاصة جماليات القصة القصيرة جداً وقصيدة الومضة، لا يمكن وصفه إلا بـ«الأقصودة»!

كتب: أوس أحمد أسعد

دور المحرّض والمؤسّس في إنتاج الظّاهرة الشعريّة

أعتقد أنّ النّاظر والمستقرئ لحركة وهدير أمواه الشعر المتدفّقة عبر مجرى التاريخ وتموّجاتها السريّة المتلاطمة سيرى بلا تعب يُذكَر عبر «عينه الثالثة» بروزَ نمطين من الشعراء، يمكن تسمية النمط الأوّل المحرّض والآخر المؤسّس، وبعدها تأتي مرحلة القوننة للظاهرة الشعريّة عبر قواعد ومعايير وضوابط ناظمة تؤطّرها، المحرّض وهو أشبه بالطفرة المفاجئة أو الانعطافة الحادّة في السياق الأفقي المألوف لحركة الأشياء والظواهر على اختلاف أنواعها، مهمّته ثوريّة وحداثويّة دوماً، وقد تصل به الدعوة إلى حدّ إحداث القطيعة مع الماضي وأساليبه الجماليّة والمعرفيّة في التواصل والتعبير، وهذه القطيعة قد تشكّل قفزة في الفراغ أيضاً، بما يتطلّبه وجودها من إعمال نشط لأدوات التقويض والتفكيك في الموروث الصّلب والمتكلّس على نفسه، لإجباره عن الإفصاح عن كنوزه ومطموراته المتوارية، وضرورة وجود هذا النمط تحدّدها صيرورة ما، خفيّة أنضجتها شروط موضوعيّة معينة تعمل بديناميكيّات تخصّها، هذه الشروط تفعل فعلَ الفراشة في الخفاء، وهي توسّع ثقب خروجها من الشرنقة عبر ضربات خفيفة متتالية بجناحيها على جدارها، وهذا يساعدها بعدُ في تقوية جناحيها لتصبح قادرة على الطيران، وإنّ توسيع ثقب الخروج من الشرنقة قد يكون كارثيّاً للفراشة لو حاول أحدهم مساعدتها في الخروج منه، كونها لم تُنضج شرطها الذاتي بعد وهو «تقوية جناحيها» وهنا في موضوع الظاهرة الشعريّة لا بدّ من الحذر في محاولة إنضاج الشرط الموضوعي، حيث تكون الأمور قد وصلت إلى ما يمكن تسميته بـ«العقدة» التي تتكوّر فيها خيوط التاريخ ويلتفّ بعضها على بعض، بعد أن ضاقتْ بشروط وجودها الذاتي، بانتظار جهود من يساهم في فكّها وحلحلتها، وهي تشبه «عقدة النجار» أو «عقدة السرد = الحبكة» عبر ما يمكن وصفه بـ ضربة المعلم أو مشرط الجرّاح الماهر الذي سيفكّ القطب المخفيّة، هكذا نرى أنّ هذا النمط يأخذ دورَ «محراك التّنور» الذي لولاه لبقي الجمر مطموراً تحت الرماد، أو لتحوّل إلى دخان أسود وحسب، فرمي الحصى في المياه الراكدة لبحيرة المشهد الشعريّ بغية توسيع دوائر الماء وتعميقها، هي مهمّته الهادفة لإقلاق السكون وخلخلته وإرغامه لاستنبات الغراس الجديدة من قلب تربة القديم، بما يمتلكه من أساليب تحريضية توليديّة وألاعيب شعرية مختلفة تتوفّر على موهبة خاصّة وحساسيّة عالية تؤهّلها للحفر في البنى الصّلدة لجسد اللغة البديع المتواري وراء الضّباب، حدّ انبجاس ينبوع الشعر، هذا الفعل السحري تتولّد عنه الشرارة في حجر الصوّان مضرمة النّار دفعةً واحدة، في الهشير المحيط، ثمّ لتمضي إلى غير رجعة، وكأنّها لم تكن يوماً، ونظراً لعمر هذه الظاهرة القصير الذي يأتي على غفلة من الزمن التقليدي كما قلنا، ليحدثَ فورته المطلوبة، عبر رمي الكرة في ملعب البرهة التاريخيّة، ومن ثمّ الاختفاء لسبب يتعلّق بآليّة نشوئه وبديناميكيّة حوامل التاريخ، ليأتي بعدها دور النمط الآخر من الشعراء المتربّصين لامتطاء حصان الومضة ولجمه، الذين سمّيناهم المؤسّسين، ليتلقفوا الكرة بمهارة ويحدّدوا شكلَ الملعب وحدوده، ويرسموا قواعد اللعبة الأدبيّة عبر ضبط الأنظمة والمعايير، التي تحدّد هويّتها من خلال استثمار الجماليّات الجديدة وما ولّدته من دفق حار في عروق اللغة ومجازاتها ووظائفها الأسلوبيّة، هم مخالفون للسائد لكن دون عجالة، خادشون للذائقة لكن من دون توتّر، حريصون على ألّا يرموا سهامهم كلّها دفعة واحدة، بل لا بدّ من حرث التربة جيّداً، وفتح منافذ للتهوية بشكل مدروس، لإعطاء الشرعيّة الكافية لميلاد الحبوب الجديدة، ولابدّ من تعميق مجرى نهر الشعر وتعزيله من الطفيليّات والأشنيّات والطمي، ومنع تحوّله إلى سبخات ومستنقعات خاملة وحسب، بتجميع جداوله ولملمتها لإنقاذها من حالة الفوضى والتشتّت وتوجيه مصبّها إلى ترعة أرضها البكر، بما يديم استمراريّة التدفّق المطلوبة دون انقطاع، هؤلاء المؤسّسون لا يسعون لبتر الصّلة مع ما سبق من سياقات طبيعيّة لولادة الظاهرة الشعريّة الحديثة، بل جلّ مسعاهم أن يشكّلوا جسر امتداد طبيعيّ معها وحسب، ليعود مجرى التاريخ ثانيةً للسير وفق طبيعة جريانه المألوفة.

إذاً ثمّة محرّضون ومؤسّسون، المحرّضون أولئك الزوابع المحرّكة لفعل التأسيس، والحوامل الدافعة لأفعال البدء، هم المغامرون العبثيّون إن شئت تسميتهم ذلك، الذين يلهون ويتسلّون بتفريغ الاحتقانات والانتفاخات في جسد الشعر المترهّل، من خلال الوخز المفاجئ وربّما التفجير له أيضاً لو تطلّب الأمر ذلك، ويكفيهم هذا الفعل العابث، اللا بدّ منه لتحريض الولادة المرتقبة، إذ لولاهم لظلّ الشعر يستمرئ مياه مستنقعاته كمرآة صدئة يستعيد من خلالها لعق جروحه النرجسيّة المكابرة، لتتورّم أناة المرضيّة أكثر فأكثر، بينما هو في الحقيقة لا يرى في المرآة سوى الوحل وحسب، أمّا المؤسّسون فيقع عليهم العبء الأكبر في تأصيل المنهجيّة التي تحافظ على حيويّة الشعر وفاعليّته واستمراريّته، بتعبيد الطريق الذي حفره المحرّضون للتوّ واختفوا، المحرّض يسكن هناك على التّخوم غير مرئي، بينما تجد المؤسّس يستوطن المركز والبؤرة تماماً، وهنا تكمن صعوبة الحفاظ على الموقع والتشبّث به، خلاصةً، يمكننا القول إنّ التحريض فعل مغامرة وإنعاش يصل إلى حدّ القطيعة أحياناً، بينما التأسيس هو فعل إعادة للتوازن وإحياء للرصانة وتثبيت للأسس، طبعاً ما قلناه أعلاه يأتي من باب الاجتهاد الشّخصي، محاولة منّا لرصد لحظة انبثاق ماء الشعر في لحظة فارقة، وضرورة تلقّف هذه اللحظة والبناء عليها.

الجسد البشري
بين الوظيفة الفيزيولوجية والجمال

كتب: رضوان السح

قد ينتهي بنا التأمل الفلسفي الجمالي للجسد البشري إلى إقامة جمال هذا الجسد على قدرة الأعضاء فيه على القيام بأدوارها الفيزيولوجية خير قيام، فيكون القبح عند ذلك هو التقصير في أداء العضو لمهامه الفيزيولوجية أو عدم التناغم بين الأعضاء لتحقيق الوظيفة الفيزيولوجية العامة.

يرى /سلفادور دالي/ الفنان التشكيلي السوريالي الكبير أن جمال العالم كله يتركز في وحيد القرن، وأن جمال وحيد القرن كله يتركز في قرنه الوحيد، ولكن هذا الجمال بالتأكيد، إذا وافقنا دالي، لن يكون جمال الجسد البشري، جمال الإنسان، بل جمال وحيد القرن، هكذا نكون قد اقتربنا من اكتشاف عنصر ثالث يضاف في التقويم الجمالي إلى عنصري قوة العضو وتناغم الأعضاء في أداء الوظيفة الفيزيولوجية -وقد نكتفي من هذين العنصرين بعبارة التناغم العام- والعنصر الثالث هو الصورة المثالية للموضوع المقوم: شجرة، منزل، كرسي، حصان، امرأة... إلخ فما ملامح هذه الصورة المثالية للإنسان؟

ثلاثة باحثين حاولوا أن يقدّموا صورة للجسد البشري حين يمتلك أعضاء فيزيولوجية تستطيع أن تحقق حياة أطول مع توافر الصحة والقوة، أو الشباب، وهؤلاء الباحثون الثلاثة لهم اهتمام كبير بالسيرورات التي تشكل الأساس للشيخوخة، فالأول أستاذ في مدرسة الصحة العامة في جامعة الينوي بشيكاغو وهو مع الثاني عالمان باحثان في المركز القومي لبحوث الرأي ومركز بحوث الشيخوخة التابع لجامعة شيكاغو، ويتعاونان على إنجاز دراسات يمولها المعهد القومي لبحوث للشيخوخة "تحرّي الأسباب البيولوجية الكامنة وراء أنماط الأمراض والوفيات المرتبطة بالشيخوخة في المجموعات السكانية" وكذلك شاركا في تأليف كتاب (السعي نحو الخلود: الحلم في تخوم الشيخوخة٢٠٠١) أما الثالث فهو رئيس المركز الدولي لإطالة الحياة في مدينة نيويورك، وكذلك كان المدير المؤسس للمعهد القومي لبحوث الشيخوخة.

في بحثهم المشترك (لو أن أجسام البشر صمّمت للبقاء) المنشور في مجلة (ساينتفيك أمريكان)، يرون أن جسم الإنسان يصاب مع تقدّم السن بالعديد من التغيرات المرضية لأن الأجساد البشرية لم تخلق إلا لتعيش فترة محدَّدة، في الوقت الذي نسعى إلى أن ندفعها للاستمرار بالأداء أطول كثيراً من مدة صلاحيّتها، فمع أن جسد الإنسان جميل ويستحقُّ الدهشة والإعجاب من الناحية الفنية، فإنه من وجهة نظر المهندس عبارة عن شبكة معقدة من العظام والعضلات والأوتار والصَّمَّامات والمفاصل غير المعصومة من الخطأ، ويمكن تشبيهها بالبكرات والمضخات والرافعات، وعندما نتجاوز سن الإنجاب تبدأ مفاصلنا -وغيرها من البنى التشريحية- بإظهار عيوبها، وذلك بعد أن أدَّت وظيفتها على أكمل وجه خلال مرحلة الشباب.

يرى الباحثون الثلاثة أنه من وجهة نظر المفهوم التطوري فإن أجسامنا تحتوي على عيوب، لأن قانون الاصطفاء الطبيعي -وهو القوة التي تصوغ سماتنا المحددة وراثياً- لا يستهدف الحياة الأبدية المملوءة بالصحة، ولو كنا صُمِّمنا للتشغيل المديد لقلّت العيوب القادرة على أن تسبب لنا البؤس من الناحية الصحية في أواخر حياتنا، ولكن الملاحظ هو أن قانون التطور يعمل بصورة مخالفة، فوضعية القامة المنتصبة عند الإنسان أمر وثيق الصلة بهذا الموضوع، فهي وضعية تكيفية تطورت من تصميم للجسم كان يقضي بأن تمشي جميع الثدييات على أربع، ولا شك في أن هذه العملية التعديلية قد ساعدت أسلافنا من أشباه الإنسان، فالوقوف على أقدامنا مكننا من استخدام الأدوات، وطور قدراتنا الذهنية، ومنذئذ تكيف عمودنا الفقري إلى حد ما كي يلائم هذا التغير غير المواتي، فأصبحت الفقرات السفلية أكبر حجماً، وذلك لتتناسب مع حجم الضغوط العمودية المطبقة عليها، وكذلك اكتسب عمودنا الفقري بعض الانحناء ليحمينا من السقوط، ولكن تلك التعديلات لم تتفاد مجموعة من المشكلات التي نجمت عن وضعية وقوفنا على قدمين.

إن الشيخوخة كثيراً ما توصف بأنها مرض يمكن أن نعكس سيره أو أن نتجنّبه، إن متعهّدي الترويج لعقاقير المحافظة على الشباب يريدوننا أن نعتقد أن المشكلات الصحية المترافقة مع الشيخوخة ناجمة بشكل رئيس عن ممارساتنا الخاطئة في سلوك بعض الأنماط الحياتية السيئة، ولكن الحقيقة المرة هي أن أجسادنا لم تصمم لحياة مديدة، ولصحة أبدية، فحتى لو توصلنا بطريقة سحرية إلى نمط السلوك المثالي في عاداتنا وطبقناه فإننا سنظل نعاني البلى بمرور الزمن.

من هذا كله يخلص الباحثون إلى أن الشيخوخة وما يرافقها من اضطرابات ليست أمراً غير طبيعي، وليست أمراً يمكن تجنبه، فحتى الآن لا اختراع يمكن من خلاله منع حدوث العيوب التي لا تحصى، والتي تسري في بنيتنا التشريحية، ومع كل ذلك فالعلماء متفائلون بأن علم الطب الحيوي سيكون قادراً على التخفيف من آثار بعض هذه الأمراض التي تنتج من الشيخوخة.

والآن ننتقل إلى الصورة التي رسمها البحث للجسد البشري، في حال كان مصمماً لحياة شابة مديدة، فالقامة قصيرة؛ لتجعل مركز الثقالة على نحو أخفض مما يمنع السقوط المؤدي لحدوث الكسور، وأعلى الجذع منحن إلى الأمام ليخفف من الضغط على الفقرات مما يقلل خطر انزلاق أو انفتاق الأقراص التي بدورها تسهم مع ضعف عضلات البطن في حدوث ألم أسفل الظهر.

الرقبة منحنية وذات فقرات ضخمة توازن الجذع المنحني ما يمكن الرأس من الارتفاع عالياً والنظر للأمام، والعظام عموماً سميكة لتكون أكثر مقاومة للكسور، والركبة قادرة على الانحناء للخلف لتقلل من احتمال احتكاك عظام المفاصل، ومن ثم تآكلها، وبخاصة إذا كان مفصل الركبة فلن يثبت في موضع محدد، ولكن غياب آلية التثبيت قد يجعل إمكانية الوقوف مدة طويلة عملاً شاقاً، وهذا يتطلب المزيد من التعديلات، لنلاحظ المعاناة التي ستنشأ لتحقيق التناغم الوظيفي، وهذا سيتكرَّر كثيراً.

هذا إضافة إلى عرض عيوب أخرى واقتراحات لإصلاحها لا تخلو من الوقوع في عيوب جديدة لتظهر على العموم صعوبة تحقيق صورة إنسان بحياة شابة مديدة حتى في الخيال دون التورط في مآزق وظيفية، ويبقى المأزق الأكبر هو المأزق الجمالي، فالصورة المقدمة لهذا الإنسان في غاية القبح، فما قيمة حياة شابة مديدة لكائنات مشوهة أو مسوخ، إن صورة حياة الإنسان عبر هذا الافتراض لن تكون أفضل من صورة الكائنات الشبحية لحياة العالم الأسفل في الأسطورة الإغريقية وهي صورة الجحيم.

هنا.. لا بدَّ أن نميز بين القوة والرشاقة، وعلينا أيضاً أن نفكر بقبح الطاقة المخزونة، لندرك أن القيمة الجمالية للجسد البشري، لا يمكن أن تتحدد بإطار الوظيفة الفيزيولوجية، وعندها تتجلى جماليات ضعف هذا الجسد عبر جمالية المرض (الدنف) وجمالية الموت أيضاً.

الفنان التشكيلي السوري
سمير مطرود
يبدع أساطير لوحاته من نسغ روحه

كتب: أحمد عساف

الفنان السوري سمير مطرود المولود في الحسكة، هذه المحافظة التي قدمت أسماء مهمّة جداً لبلدها سورية وللعالم على صعيد الفن التشكيلي منذ تشكل وعيه على الحياة كان الرسم قدره وحظه من الدنيا.

منذ طفولته هام وبكل شغف على عشقه للرسم ولعالم الألوان، بل إنه استطاع أن يفاجئ أهله ومعلميه في المدرسة، حين شارك في معرض جماعي للرسم في المركز الثقافي العربي في الحسكة وكان عمره أحد عشر عاماً.

تابع سمير مطرود شغفه الفني هذا، وفي يفاعته كان يتأبط عدة الرسم ويتجه نحو ضفاف نهر الخابور، ليرسم الطبيعة، وكائناتها وفق منظوره الفني وحساسيته اتجاه الأشياء، ومع استمراريته بالرسم أقام العديد من المعارض الفردية في سورية وخارجها، ونجح في تأسيس عميق وجاد لاسمه ولشهرته ولخصوصيته الفنية.

تتميز تجربة الفنان سمير المطرود بذاك الغنى والخصب الفني وتلك الحساسية الفنية العالية المستوى، ما جعل منه حالة فنية خاصة، ذات بصمة مشرقة تنحاز لمبدعها ولا تشبه أحداً سواه، حالة جميلة ينظر لها بكثير من التقدير والاعجاب، يضاف إلى ذلك ذاك الذهاب إلى التنوع في معارضه التي شكلت بؤرة عميقة وخصبة تنهل من ينبوع الخصب والتجربة والمعرفة في تجربته ومختبره الفني والمعرفي والإنساني.

الفنان سمير مطرود، أظهر ميلاً في بدايات احترافه، إلى الانطباعية، ومن ثم التعبيرية الانطباعية، متى الطبيعة الصامتة كانت لديه منحازة لخصوصيته الفنية.

يتجه الفنانون التشكيليون أكثر نحو الأساليب الفنية المعاصرة، لكنهم لا يستطيعون التخلي عن انتمائهم والتأثر بما خطته أصابع الزمن والبلاد والبشر في ذاكرتهم ونشأتهم الأولى، فتجدهم يعودون مهما ابتعدوا إلى تحرير ما علق في أذهانهم وإعادة تشكيله، محافظة الحسكة كنز من الآثار والتلال والميثولوجيا، بسحر أساطيرها وحكاياتها الشائقة.

من هنا بدأنا نتلمس ذاك الميل إلى عوالم الأساطير من الفنان سمير مطرود، الذي قال لي ذات مرة: «أسعى لتكريس أسطورتي»، جاءت ظاهرة استخدام الأسطورة في الفنون الحديثة لتكون بمنزلة جسرٍ بين الماضي والحاضر، بين الموروث القديم وأدوات الفنان المعاصر من ألوان وقماش وتقنيات، بين الفكر الإنساني في مراحل الطفولة والنشأة ومراحل النضوج الفكري والحياتي، وبلوغ الأشد في فهم الواقع والحقائق، لتعكس بعداً جمالياً ساحراً بمكوناته المعرفية وإسقاطاته على الواقع المعاصر.

يرسم سمير مطرود في تجاربه الأخيرة لوحات، يوظف فيها بعض الحيوانات ذات الأبعاد الأسطورية كالثيران والماعز والجياد وغيرها من الحيوانات التي لها دلالاتها وإسقاطاتها، من جيرانه الآشوريين والكلدان والسريان والعرب، وفق رؤاه الفنية وتكنيكه الفني المتميز من اشتغالاته على بياض لوحته، لحين انتهائها مذيلة بتوقيعه الذي لا تنساه الذاكرة الجمعية لذائقة الفنون البصرية، وهي تشكّل نوافذ إدراك ومعرفة جديدة للصورة، لتتّسع دوائر الدلالة والرمز على شتى المستويات الفنية والفكرية والشعورية.

وهكذا تبرز اللوحات شكلاً من التضافر الخصب بين رمزية مرتع طفولة ونشأة الفنان التي تلقي بظلالها الأسطورية على تجربته الفنية هذه الموزعة وبإتقان، بين وهج سطح اللوحة ونورها المشعّ من ثنايا الخطوط والألوان والفراغ، وكأن اللوحة فضاء للتحرّر من ركام هذه العتمة، وإيحاءاتها الضمنية إلى ما هو موجود على سطح اللوحة، وبالتالي إسقاطها على سطح الأرض من ضياء ظاهر، لكنه يبدو غارقاً في أزرقه وسواده العذب، وهنا تكمن جمالية ألوان سمير مطرود في اشتغاله على البياض والسواد والأزرق العذب بكل تدرجاته، وبالتالي مهارته وحسه المعرفي والجمالي لتوظيف الألوان على سطح القماش الناصع البياض وإحالته على كتل لونية تتماهى مع مقولة العمل الفني وفكرته، وهذا يدل على حس راق وشفاف وجميل لم يأت عبثاً على عوالم الفنان الذي نذر سني عمره قرباناً على مذبح خلودها.

بين كل هذا وذاك تظل للفنان سمير مطرود، تلك العلامة الفارقة في كل ما يبدعه من لوحات بأنها لا تنتمي لأحد سواه، ولا تشبه لوحات أحد سواه، وهو المنتمي لذاته الفنية بكل إرهاصاتها وأحزانها وأفراحها وسعيها الدؤوب لإيجاد الأبهى والسرمدي في عالم الفن التشكيلي، الحالة التي تتخطى السائد والمألوف العادي، باتجاه عوالم تنحى منحى العالمية.

رواية «الشوك والقَرَنفُل» ليحيى السنوار ونظرية القول/ الفعل

كتب: أ. د. أحمد علي محمد

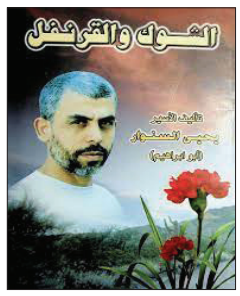

١- من خلال قراءتي لهذه الروايةَ نبت في دواخلي إحساسٌ، من جهة صدقها ومطابقتها للواقع، يوحي بأنّها أُلّفت لهذه المرحلة التي تعيشها المقاومة الفلسطينية اليوم، وبتفصيلات مدهشة، وإن كنت لا أريد أن أستعرض كلّ ما جاء فيها، وهو أهلٌ للاستعراض، لكنني أكتفي بالوقوف عند بلاغة مقولاتها السردية، مع تقديم ومضات خاطفة لأهمّ الأحداث التي انطوت عليها، فهذا كما أظنّ يكفي لتسليط الضوء على عمل نادر امتزج فيه القول بالفعل، وانصهرت فيه النّظرية بالممارسة، وهو أمر لم يعرفه الأدب الروائي من قبل، كما أظنّ.

٢- قضى السنوار ثلاثةً وعشرين عاماً في سجون الاحتلال الصهيوني، وكان قد باشر في كتابة روايته «الشوك والقرنفل» وهو في السجن، ثم نشرها عام٢٠٠٤، والرواية سيرة ذاتية للكاتب، وإن أراد التخفي وراء شخصية الراوي «أحمد» الذي قدّم معلومات شخصيةً عن نفسه، حيث ولد بطل الرواية عام ١٩٦٢، في قرية الفلوجة التي احتلها الصّهاينة عام ١٩٤٨، وهنا نلحظ أنّ المؤلف أخفى مكان ولادته الحقيقي، وهو قرية «مجدل عسقلان»، مع ذكره تاريخ ميلاده الحقيقي، والسبب في ذلك استكماله التسلسل الدرامي للرواية، وضمن التفصيلات التي ذكرها الكاتب هنالك حكاية كفاح مثيرة، تبدت عبر سلسلة من المسائل الفكرية المتنوعة التي أسهمت في تكوين الوعي لديه، ومن ثم إدراكه جوهر الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة، لهذا جعل الرواية مجموعة من المحطات التي قامت على الصراع العسكري، بدءاً بنكسة حزيران وانتهاء بسنة ٢٠٠٠-، حتى كأنه أراد أن يحلل تلك الحروب التي خاضها العرب مع إسرائيل، ليستخلص في النهاية الرؤية التي تجعل منه شخصاً مؤثراً في ذلك الصراع.

٣- حين نشرت رواية «الشوك والقرنفل» لم يكن المؤلف معروفاً في عالم الرواية، كما أنه لم يكن معروفاً في الحياة السياسية، وهذا ما دعاه إلى تعريف نفسه على غلاف روايته فكتب: «الشوك والقرنفل، تأليف الأسير يحيى السنوار أبو إبراهيم»، ثم بدأ روايته بصورة لا تتجاوز التداعيات التي تخامر ذهن أي أسير في زنزانته، يطيّر خيالاته ليفتش الأمكنة التي قضى فيها طفولته وشبابه، ويسترجع صوراً لعلاقات كانت قد توثقت مع رفاق صباه، في إطار حياة المخيمات القاسية، يقول: «مراراً وتكراراً تدفقت مياه سيول الشتاء إلى ساحة دارنا الصغيرة، ثم تدفقت إلى داخل هذه الدار التي تسكنها عائلتنا بعد أن هاجرت من بلدة الفلوجة في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وفي كل مرة يدب الفزع بي وإخوتي الثلاثة وأختي، فيهب أبي وأمي ليرفعونا عن الأرض... ولأني الأصغر كنت أتعلق برقبة أمي إلى جوار أختي».

حين كَبُر الطفل تشكّلت في عقله فكرة المقاومة، حين تتلمذ على يديّ الشيخ أحمد ياسين، ثم انضم إلى حركة حماس، ليقع بعدها في قبضة الصهاينة أسيراً عام ١٩٨٨، بعد اتهامه للتخطيط لقتل جنديين صهيونيين، فحكم عليه بالسجن المؤبد، ولم يتحرر من الأسر إلا عام ٢٠١١، من خلال مبادلة ١٢٠٠ أسير فلسطيني بالجندي الصهيوني جلعاد شاليط.

٤- انطوت رواية السنوار على ثلاثين فصلا، غذتها الذاكرة الجمعية التي اختزنت تفصيلات الصراع العربي - الصهيوني، مستعرضةً تاريخ المقاومة الفلسطينية، وما عاناه الفلسطينيون من تهجير وقمع وقتل وسجن خلال سبعين عاماً، وبدت تلك الأحداث تتراءى للكاتب وهو خلف قضبان السجن، لكن هذه التجربة هيأت له تأمل ذاته، كما هيأت له تأمل الواقع، يقول: «هكذا بدأ السجن يتحول إلى مدرسة متقدمة»، إذ تبلور لديه التفكير السياسي من خلال احتكاكه بسجناء من منظمات متعددة كسجناء /الجبهة الشعبية/ بميولهم اليسارية، وسجناء /فتح/ باتجاهاتهم الوطنية، وغيرهم، ليرى في نفسه الشخص الطامح لخوض المعترك السياسي في حال تحرره من السجن، وبالفعل انخرط في صفوف المقاومة ليقود حركة حماس، ويصل بها إلى المواجهة التي نجم عن فعلها البطولي كسر جبروت الجيش الصهيوني في ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣، وهو ما يشير إلى أن السنوار مزج في شخصيته بين القول والفعل، كونه انتقل من عالم الرواية إلى الواقع النضالي الفعلي، بصورة قل نظيرها، وهو ما يظهر بوضوح في المقولات السردية التي نجدها في روايته.

٥- تمثل المقولات السردية في رواية /السنوار/ مواضع الصّلابة فيها، حيث تحمل تلك المقولاتُ القارئَ على الدهشة، كقوله في مقدمتها: «هل يجوز لمثلنا ونحن نعيش هذه الحياة، ونرى ما نرى أن نحبّ ونعشقَ يا أحمد؟ حينها قررت أن أنهي قصة غرامي، إذا جاز لنا أن نسميها قصة غرام، إنّ قصتنا قصة فلسطينية مريرة لا مكان فيها لأكثر من حبّ واحد، وعشق واحد».

وهو جانب يحيل على خلق وعي جديد ينقل القضية الفلسطينية من حيز الصراعات السياسية القائمة على اعتبارات وتوازنات دولية وإقليمية، إلى صراع وجودي يقضي بأن فلسطين لا تتسع إلا للوجود الفلسطيني، وهو اعتبار حتمي في رأي /السنوار/، أو بحسب تعبيره هو التطرف في العشق، يقول: «ألم يحن الوقت لجميع مدعي محبة فلسطين أن ينحازوا للتطرف في عشقها بدلاً من إقامة المؤتمرات والشجب والندب؟»، وعلى هذا النّحو قدمت المقولات السردية فهماً جديداً لطبيعة الصراع، يقول: «بدأنا نفهم أنّ للصراع وجهاً آخر غير ما كنا نعي وندرك من قبل، فالمسألة ليست فقط مسألة أرض، وشعب طرد من هذه الأرض، وإنّما هي عقيدة ودين، معركة حضارة وتاريخ ووجود»، وفي ضوء هذا الوعي كان لا بُدّ من نموذج لتحقيق ذلك الوجود، تمثل بعودة صلاح الدين الجديد، يقول: «أتساءل في نفسي: هل من صلاح الدين لهذه المرحلة؟»، وفي النهاية لا يجد بدّاً من رغبته في لعب دور في الفعل المقاوم، ليقول: «جاء دورنا في المقاومة»، عن طريق التحوّل من فكرة الفدائية التي تعتمد على الكر والفر، إلى فكرة المقاومة الثابتة التي تواجه المحتل بالتصنيع العسكري، وإن بدت الإمكانيات محدودة إلا أنّها برأي /السنوار/ كافية لتمزيق الجيش الصهيوني، وهو ما حدث بالفعل في السابع من تشرين الأول عام ٢٠٢٣، ما يدل على عمق الرؤية في هذه الرواية.

«في الكتاب امرأة أخرى».. أنيسة عبود تكتب ذاتها

كتبت: سلوى عباس

في ديوانها الشعري المعنوَن بـ«في الكتاب امرأة أخرى» تلامس الشاعرة أنيسة عبود مكنونات ذواتنا، وتحرض أحلامنا، عبر قصائدها التي حمّلتها هواجسها وتعبها وكل متناقضات حياتها - حياتنا - حيث تعتمد الجملة الشعرية المكثفة في مناجاتها لروحها، مجللة عبارتها بغموض يحثّ المتلقي على سبر معانيه في محاورة للقصيدة يستوضح من خلالها مقاصد الشاعرة التي لم تكشف عنها، فلنستمع إليها تناجي حبيباً منتظراً أن يسقط مطره على روحها ليجلي عنها عتمتها، ويتوج انتظارها باللقاء /الحلم/، ففي قصيدة بعنوان «له فقط» تقول:

(شخص ما في هذا العالم الملوّث بالألم/ شخص ما/ خارج الوقت/ وتحت سقف الشوق/ شخص ما وليس غيره/ أريده أن يقطف عطر الياسمين/ من حديقة قلبي/ ويهدي أناملي/ قطفة من القلق).

تحافظ أنيسة عبود في ديوانها «في الكتاب امرأة أخرى» الصادر عن اتحاد الكتاب العرب، على تميز صوتها الشعري بنكهته الخاصة ببقائها ضمن بوتقة ذاتها ومعاناتها التي تحمّلها صوراً حياتية تنطبق في ملامحها وسماتها على ما يعتمل في دواخلنا من مشاعر وأحاسيس، بدءاً من علاقاتنا الأسرية التي تمثل لنا جميعاً القلعة والملاذ الذي نهرب إليه من متاعبنا وانكساراتنا، لكن الزمن يجعل كل واحد فينا مشغولاً بتعبه بعيداً عن الذين كانوا يتقاسمون معه يوماً حياته بكل دقائقها وتفاصيلها، ولم يبق منها إلا الذكريات، فتلجأ إلى الطبيعة لتغزل من معاناتها أجمل القصائد وتهديها لكل الذين ولدوا في زمن الخيبة وتدعوهم إلى التمرد على القيود والموروثات التي تكبل أحلامهم، بالانطلاق إلى الأفق الرحب حيث ينتصر الحب على الموت المفاجئ، فتشرق المحبة في كل مكان، تقول في قصيدة «موعد»:

(كم قضم الحزن من قلوبنا/ وكم فرشنا موائد للخيبة/ يبدو أنها لم تصل بعد القطارات /يبدو...
لم يبق ورد /على المقعد)

وفي خطابها للرجل نراها ترفع شراع عاطفتها باتجاه شواطئه لتستقر بها الروح في واحة أيامه، ولتكون سماؤه فضاءها الذي تحلم العيش فيه، في تأكيدها جدلية العلاقة التكاملية بين المرأة والرجل، يخطّان أبجدية الحياة بحروف من حب يزهر أملاً في صحراء الزمن فتقول في قصيدة «قلبه يمشي خلفي»:

(ينشطر الكون /إلى رجل وامرأة /لا تقرأ الكثير من النظريات /ولا تمجّد كثيراً غموض الخوارزميات/ لا تقف مُحتاراً أمام الظل /الكون رجل وامرأة/ وكفى بك/ حبيبي).

وفي لغة تحمل بعداً صوفياً يسم قصائد شاعرتنا، نراها تستحضر التراث عبر لغة شكّلت الشاهد الأول على حضارة ضاربة في التاريخ وتركن للشعر الذي فتح نوافذ روحها على نور الحياة، وفي ليالي الشتاء الطويلة كانت تتقاسم معه رغيف الحنين لدفء الروح المثقلة بضجر الأيام تقول من القصيدة ذاتها:

(رأيته/يجلس مع المساء يناقش في ضيق العبارة/غير أنه هرب/حين رأى النفري /قادماً
من جهة/ الرؤيا)

إن الشاعرة من خلال ما تطرحه من صور شعرية نراها تشترك مع مجموعات إنسانية تمثل خطاباً ليس له عنوان، خطاب لا يهمه الإعلان عن نفسه بقدر تأكيده وجوده الحقيقي، فنرى علاقات متداخلة ترتبط بالحياة، كلها قيم لا تتجاوز حدودها، فهي ترسم في ذاكرتها صورة للحرية، وتهيم في أزقة قريتها بحثاً عن زمنها الذي ضاع منها، رافضة التعايش مع زمن القهر والتشتت، فتمخر عباب التمرد والمواجهة، مشرعة روحها للموج يغسل عنها ما تراكم من غبار الأيام في قصيدة «تفاصيل النشرة» تقول:

(في النشرة/ سيمر أيوب ذات مساء/ يوزع حزنه على أسرّة النساء/ وسيلقي خطبة عن التاريخ المجيد للآباء/ وعن الأسنة والرماح/ والنفوس الأباة/ ستبكي عمامات/ وتنحني أخرى/ وستحرق القرى عفتها/ وتلحق بعشتار/ وعشتار/ ستهدم المعابد/ وتهجر آلهتها، وتحمل السيف في وجه الفقر/ وتركض عارية/ في عز الظهيرة وفي العقول الغراء)

تحاول الشاعرة أن تسمو بروحها فتطهرها مما لحق بها من آثام وذنوب فترتدي ذاكرتها البياض كلون آخر للحزن، فهي بوعيها لواقعها وإدراكها لما يعتريه من تفسخ وفساد تضع يدها على الجرح وتلامس ألمنا فتطلق صرخة احتجاج تخلخل المدى في رفض لواقع الغربة، حالمة بحياة مزهرة متقدة بجمر الصدق الذي يذيب جليد الروح، ويعيد الدفء إلى العلاقات الإنسانية،

وهي في إدراكها لهذه الحالة تعبّر عن رصيد ثقافي جعل حساسيتها مرهفة في نظرتها النقدية للعلاقات الاجتماعية السائدة ومقارنتها بعلاقات الماضي التي كانت تحفل بالألفة والبساطة والعفوية، تقول في "أوابد لا منتهية":

(لم تكن وحدك/ حين غامت ضحكة الرعاة/ كانت أجراس القطيع تغني /وكان المرج أخضر كالبكاء/ وكنت أنت/ ترنو إلى بروق الينابيع/ هل ستسقي / الروح من العطش /الأيام لا تأتمن/ خطوات الضباب/ حين ينقشع الزبد)

تساؤلات كثيرة تتداخل مع بعضها في تناقض ما بين أسئلة تبحث عن الاستمرار وإجابات تبحث عن التجديد بلا قيود، فالشعر يخرج من المخيلة ليتحول إلى فكرة تصب في صلب الرغبة، والحزن والألم لدى شاعرتنا هما القيمة الحقيقية لوجود أشياء أو كائنات تتنفس من مجرد التفكير بها، فهي تحرض على التمرد والتحرر من كل التبعات، ذلك التمرد الذي يتجسد بالكلمة التي تزهر لتعطي ثمراً، كونها السلاح الذي يخترق الضمائر ويرسخ مقومات التعامل الذاتي الصادق مع الحياة، فالحقيقة ليست مطلقة، وهي مرتبطة بتغير الظروف التي تحكمها، في قصيدة «صك الغفلة» تقول:

(يخالها من حواء /تشبهني وتشبه أمي/ وتشبه امرأة من أدغال الحكايات/ كلما قرأتها/ قرأتني/ وكلما نسيتها ذكرتني/ وحيثما اجتازني آدم أو اجتزته /تعيدني إلى اللوغاريتمات المعقدة/ لا يضيرها الجفاء /ولا برودة الروح ولا احتراق الأبد)

ولأن الكاتب شاهد على عصره ويمثل ضميره، فإنه أحياناً يجمّل الواقع، وأحياناً يظهر القبح فيه، فهذه مسؤولية الكاتب، والأديبة أنيسة عبود تعمل في مشروعها الأدبي على إظهار الأشياء القبيحة، ولو لم تستطع إصلاحها، فهي تدرك مسؤوليتها بأن تكشف عنها التراب والغطاء المستور، وهذا ما تترجمه قصيدة «بعض من أرق» التي تسرد فيها أحداث الحرب الفاجرة التي عاشتها سورية وما زالت تعيشها منذ أكثر من ثلاثة عشر عاماً:

(لم يكن رأس الفتى الساحلي حاضراً/ حين سلخوا جلده/ وفجوا صدره /ونبشت مخالبهم قلبه/ ليأكلوه دون ملح أو حطب
لم يكن الفتى الحلبي حاضراً/ حين هدموا شمسه/ ووزعوا دمه كعطر في زجاجات العجب/ بكت القلعة/ وناح أبو نواس/ والحمامات وحمالات الحطب
وفي حمص/ لم تكن حبيبة ديك الجن حاضرة/ حين قطعوا أصابعها/ وجروها من ثدييها/ ورموها للنار/ ففار العاصي/ وبكى ديك الجن/ ومات النهار)

إلى أن تقول:

(عقد ونيّف/ ووجه أمي على الباب/ وحبقها الأخضر/ أخضر/ وأنا أسقيه دم اليقين
سنبقى عشاقاً/ أباة نزرع الصبر/ ونهدي نوافذ الشوق قصائد ياسمين).

لقد حافظت الشاعرة أنيسة عبود على أسلوبها السلس ولغتها الشفيفة التي رسمت تفاصيل تجربة شعرية نابضة بالحيوية والقدرة على الإبداع، في محاولة دؤوبة للاكتشاف وإثارة الأسئلة التي تطرحها على نفسها أولاً، ومن ثم على المحيط، وهذه مهمة المبدع، لما تحمله هذه الأسئلة من دلالات معرفية وعمق صوفي تجسده قصيدة «أسئلة للريح»:

(هب أني أحببتك/ صرت سرك/ هل/× تمد لي الريح بساطاً/ والندى غطاء/ لأستريح
تغلي لي الأيام دون هيل/ حتى يسكت الوقت/ ويغفو الكلام
هب أنك أحببتني/ وأنا أحببت طيفاً/ لا تجسده روح/ ولا يمحوه عصف المكان
هب نسينا/ محونا/ ثم عدنا مرة أخرى إلى المعنى/ هب أننا ما مررنا).

"في الكتاب امرأة أخرى" أنيسة عبود تكتب ذاتها بحالاتها المختلفة من حزن وقلق وخوف وأمل وحب وكبرياء، ليبقى هذا الديوان وكل ما تبوح به روحها أنشودة للنقاء والصفاء الإنساني، وشعلة أمل بأنه ما زال هناك من يشعر بإنسانيته ويطالب بحقه أن يعيش هذه الإنسانية بكل أبعادها.

صاحب العين الواحدة

قصة: حنان درويش

شمس الظهيرة لاهبة، حرارتها تحرق ذيل العصفور - كما يقولون، الشوارع تضجّ بأقدام الذاهبين والراجعين، تتساءل الأرصفة بحيرة:

-- متى يأتي الليل؟. فالّليل هجوع لي، وراحة من قسوة المداسات.

نساء ورجال وأطفال من مختلف الأعمار يلهثون وراء ما تفرزه الحوانيت والبقاليات والأفران، الكلّ يُسرع، الكلّ يفتّش عن شيء يشتريه، بعضهم يدخّن، وبعضهم يلقي التحيّة مستعجلاً، لم يكن هناك من يحمل كتاباً أو مجلّة أو صحيفة، سوى الصحيفة التي تأبطها أبو الفوز، فقد أودع أبو الفوز سيّارته جانباً، ثمّ راح يتنقّل وسط السوق كديك منفوش، سأل صبيّاً يُسارع إلى جمع معروضاته عن وجه الرصيف:

-- أين يقع مخفر الشرطة؟

لم يلتفت الصبيّ إليه، ولم يرفع رأسه عن أشيائه، وربّما لم يسمعه.. فقد علت وجهه صفرة، حين أنبأه أحدهم أنّ اثنين من رجال الشرطة قادمان لمصادرة ما يبيع، فهو من متسرّبي المدارس الابتدائيّة، والتعليم الإلزامي يلاحقهم، لمّ الصبيّ ما بسّط به، ثمّ ركض باتّجاه معيّن، وهو يشير لأبي الفوز إلى الجهة التي يقع عندها مبنى المخفر.

بدأ الحديث، لم يصمت، صعد سلالم الكلمات واحدة، واحدة، وراح يثرثر كمذياع لا يكفّ عن البثّ.. عيناه تبرقان، يداه تتحرّكان، شفتاه تتفوّهان بسرد مكرور حفظه عن ظهر قلب.. قال دونما تعب:

-- ما رأيكم فيما أقول؟

تململ رئيس المخفر في مكانه، محاولاً أن يستجمع حضوره الذي غاب منذ ساعة على الأقلّ، أمّا المختار، فقد سيطر على الملل القائم بينه وبين الزائر بتغيير جلسته من حين لآخر.

-- ما ملاحظاتكم؟

-- فكرتك لا بأس بها. ولكن !

توقّف المختار، ثمّ أردف:

-- فكرتك جيّدة، لكنّهم لن يقبلوا.

مطّ أبو الفوز شفتيه متسائلاً:

-- من؟

-- أصحاب الدكاكين الصغيرة، فأنت ستحاربهم في لقمة أطفالهم.

-- لا عليك، أنا سأرضيهم وأرضي الجميع، ولن يكون المجمّع الاستهلاكي الذي سأبنيه إلّا لصالحهم، وصالح... قطع أبو الفوز كلماته، غامزاً بعينيه إلى المختار ذي العين الواحدة.

تابع الموج البشري توافده إلى بيت المختار بعد سماع الخبر، وقف الرجال عند باب بيته، ثمّ راحوا يتصايحون:

-- ماذا فعلت بنا يا مختار؟

-- هل صحيح أنّه ووفق على إعطاء الغريب أرضاً لبناء دكان كبيرة له، وكنت أنت من المؤيّدين؟

-- إنّ الغريب سيقضي على رزق أولادنا.

صمّ المختار أذنيه عن السماع، وأغمض عينه الوحيدة عن مشاهدة أيّ شيء، وتظاهر في الداخل بالنوم، الصياح يخترق أذنيه المغلقتين:

-- كيف؟

--لماذا؟

-- ماذا؟

-- هل صحيح؟

لكنّ المختار أصيب بالعمى والخرس والطرش دفعة واحدة كعادته دائماً، تراجع الجميع إلى زوجاتهم وأولادهم خائبين، إلّا " محمود الصافي "، فقد جعل ساقيه مقعداً له، وجلس ينتظر قرب بيت المختار.

ارتفع البناء شامخاً كطود.. طوابق متعدّدة، وغرف واسعة، وصالة رئيسة عجّت بالقادمين، وبوق لا ينقطع هديره في كلّ مكان:

-- كلّ شيء بالتقسيط المريح.

تابع البوق إعلانه، وكذلك وسائل الإعلام، لترويج البضاعة الموجودة في المجمّع.. استنفذت الإعلانات كلّ صبر لدى أصحاب الدكاكين الصغيرة، واجتمعوا من جديد في بيت محمود الصافي.

-- إلى متى سنبقى على هذه الحال؟

-- ماذا ستفعل دكاكيننا الخاوية؟

-- إنّه يفاوضنا أن نبيع محلّاتنا ونعمل عنده.

-- نحن لا نعرف زراعة أو صناعة، كلّ ما بحوزتنا هذه الدكاكين.

كانت هي المرّة العشرين التي يجتمع فيها الرجال في بيت محمود الصافي، وكانت هي المرّة العشرين التي يقول لهم فيها:

-- لا تستسلموا إليه، ولا تتركوا حوانيتكم.

على حدود الضاحية، ثمّة سيّارة تقترب، وكلّما اقتربت، ضاق الليل بهمهمات لا تتمخّض عن شيء سوى الكلام، السيّارة تقف، يقفل أبو الفوز محرّكها، ثمّ يترجّل.. يطرق باباً، يُفتح له:

-- هل تسمح لي بالدخول؟

-- تفضّل

قالها محمود الصافي على مضض، اشترى أبو الفوز المحلات من أصحابها، صار هؤلاء عمّالاً عنده، داخل المجمّع كانوا يتحرّكون بآليّة الأمر، فرحوا بالمبالغ التي حصلوا عليها.. أكلوا، تنزّهوا، لبسوا، وأنفقوا إلى حين، ثمّ نفدت الأموال، وصار الواحد منهم أجيراً، يأخذ أجره بميقات، ويصرفه بميقات.

-- صباحك خير يا محمود

مرّ به المختار يصبّح عليه متملّقاً، فاركاً عينه بصحن كفّه.. كلّ الأشياء أنصاف بالنسبة إليه والشمس نصف برتقالة تبتسم للجميع، بعض الدفء يتسرّب إلى الدكّان المفتوحة، حيث تضاءل المشترون، وأسفر الوقت عن قرار مباغت.

في تلك اللحظة التي خرج فيها القرار متأجّجاً من رأس محمود الصافي، كان المختار قد عاد من المجمّع الاستهلاكي وهو يحمل أشياء وحاجيات وهبت له كهدايا عرفاناً بخدماته الجليلة، بكلّ تحفّظ، انحدر جسمه المتململ من الشارع الأمامي المواجه لدكّان محمود الصافي، تابعه محمود بنظرة كأنّها رصاصة تبحث عن صدر، أو جبهة، أو ربّما، عن عين تلتهمها.

في كلّ صباح، كانت الرصاصة تزداد تصميماً على متابعة صاحب العين الواحدة، تشيّعه من باب الحانوت إلى المنعطف الذي ينزلق نحو المجمّع، وكذلك بالنسبة للإياب.. وفي كلّ مرّة كان محمود لا يرد التحيّة التي تُلقى عليه، في وقت من الأوقات، أعلنت الرصاصة مستقرّها، وأخذت قرارها الأخير، بأن تلتهم العين الباقية.

-- آه. خرجت نائحة، سابحة في فضاءات الناس المندهشين، المأخوذين بمرارة ما يجري.

-- آه. وتناثرت أشلاء العين في الفضاء الخائب، الخاسر.

دفنت في الضباب، بينما عجلات سيّارة أبي الفوز تسابق الريح، تتأبّط هذيان الناس، كما تتأبّط مخططات لبناء مجمّع استهلاكي جديد في منطقة أخرى.

جزمة فدائي!

قصة: د. راتب سكر

كنت مندفعاً في عنفوان الشباب، مستغلاً مهمتي رئيساً للّجنة الثقافية في كلية الآداب، في جامعة البعث، ومستنداً إلى ثقة رئيس الجامعة د.ياسر حورية، ومديرة العلاقات الثقافية في الجامعة أ.رجاء عدي، بتصرفاتي في النشاطات الأدبية، وما تُقَدِّمُه من قيمة مضافة إلى مسارات العملية التعليمية، فدعوت الأديب الفلسطيني خالد أبو خالد لإلقاء محاضرة عن مسيرته الأدبية وصلاتها بالعمل الفدائي، وجلست قربه على منصة القاعة القرمزية في كليتنا الجديدة التي انتقلنا إليها نحو عام 2003 من مطالع الألفية الجديدة...

شرع يتحدث عن الأيام الخوالي، في الستينيات والسبعينيات، متسلِّلاً ومتنقِّلاً خلف خطوط العدو، في الداخل الفلسطيني، نحو ستة أشهر، حافلة بالمفاجآت ومسودَّات القصائد والقصص، وأنا قربه أقفُ متحَمِّساً تارةً، وأخفي بمنديل ورقي صغير دمعةَ فرح في عيني، تحتفل بتنقُّل خطوات جزمته الجريئة، في تلكَ الأرض الأثيرة لدى قلبي ووجداني، بينما تصلني ورقة صغيرة من زميلي عميد الكلية: «اهدأ يا راتب!».

تصنَّعتُ الهدوءَ والوقار قليلاً، حتى إذا انتهى أبو خالد من كلامه، وجدتني أقفزُ إلى المهتاف لأشكره متلعثماً، وصمت مرتبكاً قليلاً، عندما أشار لي زميل يجلس في المقعد الأمامي إشارات تعبر عن عدم الرضا، إذ قلت شاكراً الأديب الضيف: «وهو ينقِّل جزمته الطاهرة، من مخيم إلى مخيم، ومن مواجهة إلى مواجهة!»...

تحولّت تلك الإشارات إلى عتب صريح في خلوة خاصة جمعتني بذاك الزميل مع زميلين آخرين، يعرفان مثله أنني أكنّ للثلاثة غير قليل من المودة، فدافعت عن رمزية تلك الجزمة، بفكرة صلتها بقدم فدائي يتنَّقل خلف خطوط الأعداء، تنقُّل طالب شهادة، والشهيد طاهر حي، غير أن دفاعي لم يصمد أمام الزملاء اللائمين، وانتهى اللوم والعتب، باعترافي بالخطأ، وضرورة ترك ما يريب إلى ما لا يريب، ومن يومها بحثت عن صفات وأحوال أخرى في الندوات التي جمعتني في دمشق وحماة وحمص، وبيروت وعمان وغيرها، مع أصدقاء من أدباء فلسطين، مثل خالد أبو خالد، ورشاد أبو شاور، وعز الدين المناصرة، ويوسف سامي اليوسف، وحسن حميد وغيرهم...

كان خالد أبو خالد إعلامياً إذاعياً ثقافياً مرموقاً، ويعد برنامجه الثقافي الذي قدمه طوال سنوات في إذاعة دمشق محط احترام كثيرين، ولفتني اهتمامه بالأدباء الشباب، وأدباء المحافظات البعيدين عن العاصمة، ما جعل ما يصدر لي من كتب شعرية يجد مكاناً بين تعليقاته ورؤاه النقدية، التي تمنحني غير قليل من الثقة بكتاباتي، في فضاء ثقافي لا يمل من تهديمه مثل هذه الثقة لدى من يكتبون، وقد وجد كتابي الشعري المتواضع «ملاءة الحرير» حفاوة خاصة لديه، بسبب قصيدة فيه هي: «ابن العسكري الذي خدم في جيش الإنقاذ»... وعندما شارك عام 2010 مع صديقنا المشترك د.حسن حميد في ندوة أدبية عن فلسطين في مديرية ثقافة حماة، اعتذر عن قبول دعوات عدة وجهت إليه، قائلاً: «أريد عيادة ذلك العسكري الذي خدم في جيش الإنقاذ، لأسمع منه، وأطمئن على صحته»، وقد أجابه صديقه د.محمود إحسان هندي: «هو ابن حارتي الغالي، نذهب معاً»، وسرعان ما تنوعت حوارات أولئك الثلاثة المهمة، عن سنوات الأربعينيات والخمسينيات، كأنَّهنَّ بنات الأمس والبارحة، وأبو خالد يؤكد شروحه بحركة سبَّابته وكفّه بما يليق بفدائي نقَّل جزمته الجريئة الغالية خلف خطوط الأعداء طوال أشهر لن ننساها...

زوجتي العزيزة

قصة: عفيف حمدان

بعدَ أن أجرى لي طبيب المشفى المختص الفحوصات الطبيّة اللازمة، تناول قلماً أسود اللون واتجه بيده نحو مجموعة من الأوراق البيضاء الجاثمة فوق زاوية الطاولة المستطيلة الهادئة، وبحركة سريعة رسمَ بضع كلمات ورموز أحرف عرجاء مُرفقة برقم دوَّنه قبل أن يختم الورقة؛ وبنظرة صامتة ناولها لابني الذي وَضعها في جيب سترته الرمادية الواسعة ثم صافح الطبيب شاكراً ممتناً، وخرجنا من غرفة المعاينة.

تحركتُ بعفوية، مستنداً إلى ذراع ابني المحيطة بجذعي المائل، تتبعنا زوجتي العزيزة متثاقلةً ومتعثرةً بخطا تلاحقني، وكأنها فحيح شبح نائح، لم يكن أحد - من الواقفين أو المتنقلين جيئةً وذهاباً في ممرّ المشفى المضاء جيداً- يأبه بخطواتها المتلعثمة تلك! كانت نظراتهم تتجه إليّ بفضول وإشفاق، وأنا مُستكين ومتكئ على "عكاز" ساعد ابني المتينة، وتلامسُ أذنيّ همهماته المواسية؛ كان يتكلم، ليملأ فراغ الصمت الكئيب، ليقول شيئاً، بينما أنا ساهمٌ؛ لم أكن بحاجة لأن أفهم ما يقول، فالحدث نفسه كان الكلام...

كانت جدران الممرّ الذي نجتازه متطاولة، حتى تبدو وكأنها بلا نهاية.

وصلنا إلى الغرفة ذات الرقم (13)، امتدّت يد ابني اليسرى نحو قبضة الباب ليفتحه، وهو يحاول الإمساك بي تساعده زوجتي العزيزة التي همّت باللحاق بنا.

كان في الغرفة سريران ضيقان نظيفان، غطاؤهما أبيض جميل خال من رسوم الورود والمزهريات التي "طرزتها" زوجتي -عنّد زواجنا-، على غطاء ذلك السرير الواسع المريح، وفي ركن قصيّ من الغرفة تقبعُ زاوية للمطبخ مكوّنة من موقد غاز أبيض اللون ورفّين من الصحون البيضاء أيضاً.. وتحتل الحائط المقابل نافذة كبيرة زجاجية، ذات إطار معدني أبيض، تَطلّ على حديقة المشفى والشارع العريض، اقتربتُ من السرير محاولاً الجلوس، بينما تتجه نظراتي نحو النافذة المُطلّة على حركة الحياة التي تضجّ بها المدينة في الخارج.

كانت زوجتي قد هرعت لتساعدني في خلع حذائي، عندما همّ ابني بفتح النافذة، وهو يقول: يبدو أن جوّ الغرفة خانق، أليس كذلك؟! الهواء النقي يفيدك يا أبي، والأشجار في الحديقة تبدو أجمل حين تكون النافذة مفتوحة... كلماتٌ قلقة وجملٌ متناثرة تتدحرج من شفتيه، استلقيتُ على السرير، وضعت يدي تحت رأسي، نظرت إلى سقف الغرفة قليلاً، ثم أدرتُ عينيّ لتقرآن معالم العالم الممتد ما بعد زجاج النافذة.

اقترب ابني من السرير حتى لاصقه، فنظرت في عينيه وملامح وجهه، فرأيت علامات الحزن، وقد رسمَت خطوطها المتحرجة، لم يعد يبتسم كما كان يفعل قبل قليل! اعتراه الصمت الثقيل، بعد أن دفن في صدره تلك الرغبة في اختلاق أحاديث تخرق السكون القابع في جو الغرفة وفي نفوسنا! وقد وشّت ظلالُ الصمت المُترهّل، وتفشّت على معالم وجوهنا نحن الثلاثة هو وأنا وزوجتي العزيزة.. لقد أدرك ابني الآن أنّ المأساة أكبر من ابتسامة شمعيّة أو كلمات بائسة تَسيل من فم طفل يلهو بلعابه... أدرك الآن معنى وُقوفه إلى جانب سرير أبٍ عليل، رأيته يحاول اصطياد البسمة والكلمة؛ وقد خبَت جذوةٌ وجنتيه فجأة في طمي ذلك الموقف الحزين ...

أما زوجتي العزيزة، فقد استطاعت بهدوئها أن تحجب دموعها، وهي تتشاغل بفتح حقيبة الأمتعة وتعليق وترتيب حاجياتي في خزانة صغيرة متعددة الرفوف، أسرع ابني لمساعدتها، لقد وجَد منفذاً ليهرب من صراحة تجاعيد السنين في أخاديد وجهي الموجعة! وبدورها تركت زوجتي العزيزة له مهمة الترتيب، وتمتمَت له ببعض الكلمات المُبهمة، وخرجتْ بعد ذلك دون أن تأخذ حقيبتها الجلدية التي لا تفارقها أبداً، وهي محفظة أنيقة أكسبها الاستعمال لوناً باهتاً رائعاً.

بقينا أنا وابني في تلك الغرفة الغريبة، بدأ ابني محاولة جديدة لإثارة رغبتي في الاستماع إليه، أخذ يُثير أسئلة حائرة تتطلب مني الإجابة بكلمة واحدة لاأكثر، غالباً ما تكون كلمة الرضوخ "نعم".

عادت زوجتي العزيزة بصحبة الطبيب الذي حضر للاطمئنان على حالتي، وبعد أن علّق لوحة المعاينة على السرير (التابلية)، وهو يبتسم لي، استأذن في الخروج وهو يهزّ رأسه، وأشار لابني أن يتبعه وخرجا معاً...

نظرتُ إلى زوجتي وهي تحاول الهروب والتملّص من نظراتي المتوعكة، مُتحاشية التقاء عينيها بعينيّ الذابلتين، هَدأ قلقها أخيراً واقتربَت من السرير، دنَت مني بعد أصبحنا وحيدين وقبلتني، ودفعني الواجب لتقبّل تلك القبلة الطويلة المملّة، التي لم تحرّك في داخلي أي إحساس بحبّ أو رغبة، ثم ربتت بيدها فوق قفص صدري الصدئ، وأمسكت بيدي المُسبلة على طرف السرير وقبّلتها، وأطرقتْ صامتة...

عاد ابني وبصحبته الطبيب الجرّاح الذي مازحني قليلاً، ثم ابتسم قائلاً: غداً سوف نجري لك العملية الجراحية، كنْ مطمئناً وحاول أن تنام مبكراً.

هززت رأسي موافقاً، وكأنه أمرٌ لا يعنيني، انتفضت زوجتي بعدها وسألته بتوسل وضراعة:

هل ستستغرق العملية وقتاً طويلاً؟

ابتسم الطبيب وقال: لا، لا... ساعتين على الأكثر، هي عملية بسيطة، ليس فيها ما يدعو للخوف والقلق! كان الطبيب يتكلم بثقة مؤكداً كلامه بهزات رأسه المُقنعة... ثم غادر الغرفة ومضى بعد أن أغلق الباب وهو يلقي عليّ نظرته الأخيرة والابتسامة لا تفارق شفتيه.

هي عقارب ساعات قادمة؛ وقد أموت بعد دوران لدغاتها في جسدي! أو ربما أبْقي على قيد حياتي معانداً سموم السنين المترهّلة في "أرذل العمر"؟ وتساءلت: حتى لو بقيت على قيد الحياة! فلماذا أحيا بعد هذا العمر المديد!؟ ألَم يَتعب خشبُ كتفيّ من حمل هذا الجسد الحَطَب؟ وهذه الأضلاع الصَّدئة في قفص الصدر أما آن لها أن تهترئ وتفنى وهي تحبس ضجيج طبول القلب؟!

همّ ابني بالخروج بعد أن ذكّرني بتوجيهات الطبيب وأوامره، ولم ينس أن يطلب مني الخلود للراحة والنوم، مؤكداً أنه سيحضر غداً مع زوجته، بعد أن يكون قد أخبر الأقارب بأمر العملية، وقبل أن ينصرف اقترب مني وقبّلني مودعاً، وقد اطمأن إلى أنّ زوجتي العزيزة سترعاني جيداً، وستسهر على راحتي.

مرة ثانية: أصبحنا أنا وزوجتي وحيدين في تلك الغرفة المغلقة، تحركتُ محاولاً النزول من السرير، فأسرعتْ لمساعدتي، واتجهتُ نحو النافذة الزجاجية الكبيرة، وقفَت زوجتي إلى جانبي حيث كنتُ في غاية الإعياء.

نظرتُ إلى الحديقة المهملة، فشاهدت بعض الروّاد القلائل على أرصفة الحديقة موزعين بشكل عشوائي، يتنفسون الحضور والغياب ويتقاسمون نسائم الهواء بالشهيق والزفير؛ لايتحدثون باهتمام، يثرثرون، لكن بلا همهمة أصوات.. يبدون غرباء عن بعضهم، ترسم أياديهم في الهواء إشارات استفهام واستهجان وكلمات، كلّ منهم ينتظر، وربما لا يعرف ماذا ينتظر! لكنه انتظار تجريديّ كتقلبات الفصول ومأساوي كدوران لعبتي الليل والنهار! كانت المصابيح المعلّقة فوق أعمدة حديدية قصيرة مطفأة بشكل حزين ومؤلم، لكن القمر الصاعد من خلف عمارة شاهقة قد أطلّ بضيائه الوديع ليُخفف من حدّة العتمة البَعيدة المستقرّة على بقايا الأشجار ونُتف العشب الأخضر... وتوقفتْ صورة العالم الخارجي التائه والغارق في صمت محيّر عندما امتدّت يد زوجتي العزيزة إلى النافذة وفتحتها، أنعشتني نسمة مفاجئة ارتعشت لها بقايا جسدي، وجعلتني أحسّ بالحياة وكأنها لا تزال تنبض من جديد بين ضلوعي، رغبة دفينة جعلتني أحرك يدي وأتكئ على النافذة، ابتسمتُ لزوجتي فاغتنمتْها فرصة لتتفوه بكلمات اعتدت سماعها، ولم أجد فيها شيئاً جديداً. كانت تتحدث بحدس امرأة تحاول استخلاص النبض وزرعه فوق شفتين ذابلتين... وأرسلتُ خيالي سابحاً أرقبُ السيارات العابرة المتسارعة في الشارع الكبير الذي يُحيط بالمشفى، كل شيء يمضي مُتسربلاً بالزمن... الكلّ ماض في سبيله، الكل ذاهب ولا أدري إلى أين؟ حتى أولئك المارة القلائل الذين كانوا يعبرون الأرصفة كظلال متعاكسة يمرون ببطء، وهم ينظرون إلى نوافذ المشفى المضاءة أبداً وبلا ستائر قبل أن يتواروا؛ لايكترثون بما يحجبه زجاجها من أوجاع وآلام...

هبّت نسمة تحمل معها بعض أوراق الشجر المتساقطة وتبعثرها بين أوراق أخرى مكدسة في الزاوية القصيّة وراحت تدور حول جذوع أشجار حديقة المشفى...

تشدني زوجتي من يدي وتغلق النافذة وتقول بجمل قصيرة بطيئة مقتضبة: تعال، لتنم باكراً.. فالعملية غداً، يجب أن ترتاح.

نعم يا زوجتي العزيزة، يجب أن أرتاح! لقد حان وقت الراحة...

منذ الآن ستجدين الوقت الكافي للاعتناء بمزهريات "الصالون" والورود المصطفة والأزهار التي كنتُ أكرهها، ستغيّرين مواقعها وتسقين بعضها، وتنظفين بعضها الآخر، وسترتبينها جيداً، وتنظرين إليها طويلاً لتتأكدي من أنها ستنال إعجاب الضيوف والزوار أو المعزّين، فأنا لا أعرف إن كنتُ سأكملُ قصتي في الغد القادم باصفرار صباحه، أم إن النهاية ستكون صفحة بيضاء تعلن مساءَ الحِداد!

من تلك الشتاءات

قصة: عباس حيروقة

هذه الأيام الطافحة بالمطر وبالبرد وبالريح.. تعيدني بكل غماماتها وعصافيرها البردانة الى تلك الأيام المعبأة بموسيقا المزاريب والسواقي والأنهار وبألحان مطر يسّاقط فوق وريقات أشجار الدور، وحينا يقرع بشغب حنون نوافذ بيوتاتنا المحصّنة من الخارج بـ(النايلون).

هذه الأيام التي تحمر فيها وجوهنا وأطرافنا وتيبس دمعاتنا على خدودنا الغضة فتتشقق..

كنا وما زلنا لا نعبأ بنسمات لا بل بريح الشمال المحمّلة بنتف ثلج نخرج نحسسها بأنامل من فرح وأناشيد وضحكات تحاكي بياض الله الممتد الى أقاصي القلوب..

ثلج ودروب وأساطيح وتلال وصوت شلال مهيب من جهة الغرب.. تراتيل أمي وقداديسها وهي تستقبل خيرات الله بوجهها النبوي وبيدين من ضوء ونور وهي تفتح ساقية هنا وهناك ليعبر الماء شمالاً تجاه الكروم وهي تقول: (شوفوا ما أحلا هالدنيا.. الله يبعت الخير).

هي الأيام أيام كوانين نعيشها بكل مواقيتها الماتعة، نتلقف مفرداتها بشوق وشغف لاسيما الصباحات منها فتسكننا تلك الدهشة التي ما غادرتنا بعد..

أيام المطر الغزير الغزير الذي جاء غير مرة بطوفان غير رحيم يفسد ويخرّب ويدمّر وسط قهقهات الرّعد ومؤازرة البرّق بيوتاً وأراضي ومزروعات وقطعان ماشية..

طوفان يجرف أمامه بكل قساوة ما جمعته الناس طوال أشهر صيف مرير..

إنه الشتاء بكل مفرداته الماتعة حيناً والقاسية أحياناً، شتاء الأعياد (الميلاد - رأس السنة الميلادية - البربارة وما أدراك ما البربارة وما طقوسها التي تعكس تعلق الإنسان بأمه الأرض وبخيراتها وبكينونته الحق)...إلخ

شتاء (المربعينية) وما يتخذه الإنسان من حيطة لدرء قساوتها.. شتاء الخماسين بكل (سعوداته سعد دبح - سعد بلع - سعد السعود - سعد الخبايا) وما ينسج حول كل منها من أقاويل وحكايا شتاءات القرص عنة والخبيزة والدردار والحرت منة والرشاد والقرة والجرجير والفطر ودهشة لا بل بهجة قطافه حين رحلة البحث عنه..

شتاءات الطوافيح والفخاخ والعصافير البردانة الباحثة عن حبات قمح في جوار البيوت وداخلها.. شتاءات عطلة الربيع أو العطلة الانتصافية وما تحمله من فرح وبهجة وألعاب (المفتش والحرامي - البرية - السبع جور - القواميع - حديّ مديّ - عمي الشيخ - الكلول) والعابه الخاصة به (المور) أنموذجاً... إلخ من العاب كانت آنذاك عن ألف ألف موبايل وما فيه من ألعاب وتسالي شتاءات النرجس.. هذه النبتة.. الوردة.. الزهرة الاستثناء لنتفكر ملياً بها.. بانبجاسها وانبثاقها من بصلة مهملة في الأرض لسنة كاملة كيف لها في شهري كانون الأول والثاني أن تؤول إلى ما هي عليه من اخضرار يانع وزهر أصفر مذهل ورائحة طيبة ماتعة..هذه البصلة الكامنة في التربة طوال ربيع وصيف وخريف وتمر سواقي الصيف من قربها وفوقها ولا تنبت البتة الا في كوانين..

النرجس الذي قيل فيه الكثير الكثير من الشعر وما يحضرني الآن لامية الشاعر ابن الوردي التي يقول فيها:

لا تقل أصلي وفصلي أبداً

إنما أصل الفتى ما قد حصل

إنما الورد من الشوك وما

ينبت النرجس إلا من بصل

وأيضا تحضرني تلك الأبيات التي تغنينا بها وغنيناها:

أطلقت أغنامي ترعى وتجترُّ

والزنبق النامي للفجر يفترُّ

والنرجس النعسان من سهرة الأمس

قد أطبق الأجفان خوفاً من الشمس

هذا بعض بعض ما كنا عليه من فرح تلك الأيام وشقاوتها.. تلك الأيام البسيطة البسيطة التي كانت المحبة هي المفردة الأساس والأهم والتي أنتجت جيلاً أخاله ناجحاً وصادقاً ومنتمياً بحق.

نَقشٌ عَلى بَوَّابَةِ القُّدْس

شعر: جاكيتي الشيخ سك /موريتانيا

ظُهرَ هَذَا اليَوم
حَيَّيتك عن بُعدٍ.. عَلى مَرمَى نَظَرْ!
وأنَا اللَّيْلَةَ مَوْقُوفٌ عَلَى بَابِكِ
مَحْرُومٌ
أنَا الآنَ .. عَلَى مَرْمَى حَجَرْ
قَالَ لِي الشُّرطي: لَنْ تَدْخُلَ أرْضِي..
قُلْتُ: أرْضِي
حَمَلَ الرَّشَّاشَ فِي وَجْهِي وَكَرْكَرْ
هَا أنَا يَا قُدْسُ
حَاوَلْتُك مُلكاً
والَّذِي حَاوَلَ مُلْكَ القُدْسِ يُعْذَرْ
فَاحْضِنِي فِي قُبَّةِ الصَّخْرَةِ مِنِّي أيَّ شَيْءَ
وامْنَحِينِي كَفَّكِ اليُمْنَى
لأَرْقَى لِلسَّمَاءْ
قُدْسُ أنْتِ الارْتِقَاءْ
وَإلَيْكِ الرُّوحُ تَسْرِي
أنْتِ مِعراجُ مَدَاهَا لِجِوَارِ الأنْبِيَاءْ
هَا أنَا..
أهمسُ فِي أُذْنِكِ مِنْ
خَلْفَ الحَوَاجِزْ..
وجِدارُ الفَصْلِ مَشدُودٌ عَلَى قَلبِكِ
والقلبُ كَسِيرْ
إنَّه مُنتَصَفُ اللَّيلِ
فَلا طَالَ بِنَا لَيْلُ أَسِير..
أيُّها الشُّرطيُّ..
هل قلتَ: سَلامْ؟
آه مَا أوْهنَ أنْ يَتَّكِئَ المَرءُ عَلى رَمْلِ الكَلامْ؟!
أيُّها الشرطيُّ..لا تَمضَغْ أمَامِي عَلْكَتَكْ
أيُّهَا الشُّرْطِيُّ هَذِي لُغَتِي
لُغَتِي هَذِي وَلَيْسَتْ لُغَتَكْ
أيُّها الشُّرطِيُّ فَامْضَغْ عَلْكَتَكْ
وَانسَ أنْ تَسْمَعَ مِنْ شِعْرِي
فَشِعرِي لَيْسَ لَكْ..
أيُّهَا الشُّرْطِيُّ ..
مَا يَعْنِيكَ مِنْ سِعْرِ حِذائِي
قُلتَ: كَالتِّمْسَاحِ؟
حَقّاً هُوَ كَالتِّمْسَاحِ
هَلْ.. هَلْ أرْهَبَكْ؟
قُدْسُ .. هَلْ أرْجِعُ..
أمْ أغْرِسُ نَفْسِي فِي المَكَانْ
فَبِدُونِ القُدْسِ مَا جَدْوَى الأمَانْ؟
وبِدُونِ القُدْسِ..
لَنْ تَحْيَا الحَمَامَاتُ لِغُصْنِ
آهِ مِنْ هَذا الكيَانْ..
آه يا قُدْسُ وآهْ..
آهْ آهْ ..
كُلُّ شَيْءٍ فِيكِ قَدْ مُدَّتْ يَدَاهْ
فِي سُموقِ السَّرْوِ
فِي الزَّيْتُونِ فِي الزَّعْتَرِ
فِي طُهْرِ الجِبَاهْ..
وَا صَرِيخَ القُدْسُ
وَا مُعْتَصِمَاهْ ..
أمْطَرَتْ أَدْمُعُكِ الدُّنْيَا
فَعَطَّرْتِ الحَيَاة
آهِ وَا مُعْتَصِمَاهْ
آهِ وَا مُعْتَصِمَاهْ
آهِ وَا مُعْتَصِمَاهْ

مقبرة الأحلام

شعر: د. أسامة تاج السر ـ السودان

مُدّي يديكِ وقولي الآن فلننجُ
لا عاصمَ اليومَ، قدْ يصطادُنا الموجُ!
مُدّي يديكِ،
فإنّي قد بسطتُ يدي
لا كابنِ آدمَ لمّا قام يحتجُّ
في حُلْم حُلمي حميا الشعر قد سُكبتْ
صرفًا تجرّعتُها ما مسّها المزجُ
رأيت ما لا يُرى :
الأشياءُ ساكنةٌ طورَ التشيُّؤ،
لمّا يكسُها النسجُ
مررتُ بالقولِ ينْعاً في سنابله
قوّمتُ منه الذي قد كادَ يعوَجُّ
وقلتُ ما قلتُ عن علمٍ ومعرفةٍ
نسيجُ وحدي،
ولي من دونهم نهجُ
غفوتُ،
كنتُ أرى الأحلامَ مَقبرَةً
والطُّيرُ عاكفةٌ بالبابِ،
والعُرْجُ
رأيتُ غربانَها بالحقدِ نابشةً
وهي التي علّمتنا بعضَ ما نرجو!
مرَّتْ هُداهدُ ليستْ ذاتَ أدلجةٍ
فلم تُنبِّئْ،
كأنْ لم يعنِها الهرجُ!
أفقتُ،
قربي غزالاتٌ مذبّحةٌ
ورأسٌ فهدٍ،
وإبريقٌ،
مُدَى،
وهجُ
خيلٌ أعنَّتُها شهبٌ ممزَّقةٌ
والأفقُ فوجُ إوزٍّ،
دونَه فوجُ
والرَّاكبون على النجوى ملائكةٌ
كأنَّه . من تداني جمعِهم . حجُّ
رأيتُ كاهنَ قومٍ شكلوا نسبي
يقولُ ما آمنتْ من سحره الزّنجُ
يأتي نبيٌّ من الأوهامِ يتبعُه
عشرون حلماً،
على أصداغه شجُّ
يُحلُّ ما يشتهيه الناسُ من نشبٍ
كأنه - وهو يحمي النّسلَ - نارنجُ
يقولُ للناس...
مرّ الحُلمُ منفلتاً
هذا الحِصانُ،
فأينَ الدِّرعُ والسَّرجُ؟

سورية كانت حلم الإله الأول

شعر: موسى الحوامده/ القاهرة

في دَوَرَانِ الموتى،
في احتفالات البُكاء بأشدِّ الألم،
في خيانات النَّفس للنَّفس،
وجَلد الذات للذات،
في تَراتيلها عن خَيباتها؛
تتولَّدُ اللغةُ من دَم حر وأَصَابعَ خَرْسَاء
وفَمي لغةٌ خرساء تَتقاطعُ مثلَ وجهِك البعيد،
وقربك الأكثرَ من وَرَمٍ
في لسانِ الكلمات

لمنْ هذه الأجراسُ إن كانتْ لي حكمتُها
لمنْ هيَ الكلماتُ إن رَفَّتْ لحاظُها فوقَ جَفنيّ
وتأوَهَ الوحيدُ بمفرده
والغريبُ نَأى بكلِّه المدنَّس
والمتأنقُ تجلَّى بشهوةِ الغَدْر

سيكونُ عندي ما لا يكون
وتجفُّ العَناقيد
وحبَّاتُ المعنى الطازَجة
تلوحُ في بالِ الصَّبايا
تلوكُها نعالُ المعجزة
أحدِّقُ في نَقْصي
وأراهُ جديراً بالتَّمام
أحدِّقُ في تَمامي
وأراهُ وافراً عمَّا سواه
أحدِّقُ في ذاتك المتَشظّية
وأراك أكثرَ منّي قُبوراً وطَلاسمَ
أكثرَ مني موتاً وذكرياتٍ ذابلةً

ومن ليديَّ سوى أصابعك لتعبِّر عن سر المعاني
من ليديَّ سواك لأحشُرَ البحرَ في ثُقب إبرتك
وأقَسِّمَ النتائجَ لغير الوَرثة
ومنْ للموت غيرُك يُشهِدُهُ عليَّ
ويُشْهِدُني عَليه
ليموتَ
وأحيا في موتك الحيّ

أُحدِّقُ في الموسيقا والعازفين
وأنت ترينَ سُقوطَهم واحداً واحداً
لا يُربكُك الحَنينُ
ولا تحرقُ أصابعَك شَهوةُ الحياة التي لم تنطفئْ في وَهَج الكمَان الأخير
منْ لفَمي إنْ لم تَمْنَحيني قُبلةَ الموت الأخيرة
من ليديَّ
لتزرعا بستاني بميْت جَديد
إن لم تُعزّيني الكلماتُ وتَتَأبطُ ذراعي الفاجعةُ

يا لحصّتي في الجُلجة وأعياد الشَّعانين
يا لحصّتي في دم المَسيح النازف
وخَشب صَليبه الطّريّ
يا لحصّتي في لَمعان البُراق القَصيدة
ناثراً دَمَه بين الأنبياء
وطعامَه على جَوْعى الديانات

يا لحصّتي فيك
وأنت تشردينَ في الضَّباب الهاربِ من قَبضة النُّفور
تَميلُ الدَالية
تمتدُّ الجذور
أحياناً قد تلينُ
وتَضحكُ شَجرةُ تين عجوز
ترفعُ أوراقَها العَجفَاء في وَجْه الزَّمن

يَستريحُ القيثارُ والزمَّار يُغني..
حصَّتي في الندم
حصةُ الغريب في الوليمة
وحصةُ الضيف في الجنَّازة
والمقرئ في الكلام
والمغني في التهاليل

يا ربيعيةَ الضَّحكات
خريفيةَ الجنون والخيال
أيتها العاشقةُ المُتقلِّبةُ الدّم والهواء
حُلمُك سَحابٌ يَقطعُ رأسَ البخار
على ساحل الغُربة
وبيتُك ضيِّقٌ لا فَراغَ فيه ولا رَذاذ
فَتَثبَّتي من حَلق الباب
واحكمي غَلْقَ البَحر على جَسَدي
وبالمزلاج المُعدِّ للغرباء
أغلقي رتاجَ عُمري بيديك
ولا تَتَعمدي تَشويه الخاتمة

طيرانٌ فوق صفحة السماء
وهبوطٌ فاجعةٌ خلف التلكؤ
تسري في دم الهواء
ترشُّ الكون باللعنات
وتَقدحُ ذمة الكحول
والخريفية تتهجّى لغة الردفين الآرامية
بعينين ناعستين على (باب الهوى)
من قطعة أرض سماوية انزلقت على الأرض
سورية كانت حلمَ الإله الأول
ليولَد فيها آدميون يشبهون الفكرة الطازجة
مرّت الخارطة من بين يدي الحاجب
ولم ينقل بقية الفسيفساء
وكان الرب مشغولاً بممالك سرية
وهو يمضي دردشات كثيرةً
مع أولياء لم يصلوا إلى مرتبة النبوة
وغانيات مقبلات على الورع
فأعطى كلمته للحاجب
دون مراجعة الشكل النهائي للأرض
بقيت سورية وحيدة جانب الطاولة
ولم تهبط مع التميمة الأولى
ولما أفاق البناؤون
لم يجدوا الجرأة
لمراجعة الله في خلقه
فتركوا سورية كاملةً بين يديه
وصنعوا العالم الناقص

موجتان برّيتان

شعر: د. راشد عيسى/ الأردن

ما همني البرقوق في خديك
أو خمرة العناب في شفتيك
لكنني زنبقت فيك قصائدي
وأسلت نهر العمر بين يديك
فرأيت أمي والطفولة والصبا
وشربت دمع القدس من عينيك

٢.

في العشر سنين
كنت أنال القبلة بالمجان
من كل عجائز حارتنا وصبايا الورد وتلميذات الريحان
في العشرين
صار فمي لصاً تخشاه النحلة والعصفورة واناث الجان
في الخمسين
زادت أسعار القبلة وضرائبها
من وإلى ما لا يخطر في بال الشيطان
في السبعين
القبلة صارت ذكرى
أو بالأحرى
بعت فمي لطبيب الأسنان

المسرحي إلياس زحلاوي ضيفاً في جمعيتي القصة والمسرح

استضافت جمعية القصة والرواية خلال اجتماعها الشهري الأب إلياس زحلاوي للحديث عن تجربته في كتابة أدب المسرح وبمناسبة تكريمه وصدور أعماله المسرحية الكاملة.

والأب الياس زحلاوي قامة شامخة من قامات هذا البلد المعطاء، رسخ حياته للارتقاء بالإنسان في سبيل خدمة الله والوطن، آمن بأن جوهر الدين هو الحب، فكان رسول السلام في حله وترحاله وعبر لقاءاته وفي تأليفه للكتب التي يضمنها معاني المحبة والسلام واحترام الرأي والرأي الآخر.

حمل القدس في قلبه ودمشق في أعماقه مجاهداً في سبيل الدفاع عن أرض فلسطين، أرسل العديد من الرسائل إلى كنائس العالم يدعو فيها إلى نصرة غزة وأهلها وإيقاف هذه الهمجية التي يمارسها الصهاينة على أرضها وشعبها.

إنه الأب الياس زحلاوي صانع الفرح والذي أمضى جلّ عمره في الثقافة والفن والموسيقا والمسرح، وفي رصيده مجموعة واسعة لأهم المؤلفات والترجمات وكان آخرها مسرحياته الكاملة الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب.

وهو تكريم لقامة ثقافية سورية كبيرة، وقامة عروبية مؤمن بقوميته العربية، وتبدى ذلك من خلال نصوصه وأدبه الذي يعبر فيها عن هويتنا الحضارية والعربية وقبل كل ذلك هويتنا السرية.

وأشار مقرر جمعية المسرح إلى أن أهمية مسرحيات الأب زحلاوي التي تحمل نفحة إنسانية تصدر عن فكر نيّر يبحث في حقيقة الإنسان وأفعاله، وهو في ذلك يستند إلى خلفية دينية، لكنه مؤمن بالمسرح، ويتجاوز في ذلك الرقابة الكنسية إلى الفكر الإنساني لنكون أمام أمثولة حقيقية تتماهى مع الهم والفكر الإنساني.

المسرح فكر وثقافة

وبيّن الأب زحلاوي في بداية حديثه أهمية دور المسرح منذ تأسيسه على يد الإغريق في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وظهور عدد من المسرحيين الذين تحدوا الواقع والظروف التي كانت تحكمهم، وآمنوا بأن المسرح هو وسيلة لنهضة الفكر وتطور المجتمعات، وتسليط الضوء على السلبيات وترسيخ القيم والظواهر الإيجابية، وليست الغاية من المسرح توجيه الانتقاد فقط، وقال:

أنا لا أنتقد أي ظاهرة فقط للانتقاد، بل أنتقد حباً بالبلد وحرصاً عليها، وسعيا للنهوض وتحقيق العدالة الاجتماعية، والجميع يعرف أنني لم أحلم يوماً أو أسعى إلى مركز أو تحقيق منصب، بل أكتب خدمة للإنسان ولوطني سورية والعالم العربي، وخصوصا أن بلادنا تتعرض للكثير من الضغوط ولا ندري ماذا تخبئ لنا الأيام.

مسرحيات من عمق التجربة

وبدوره بين الحكايات التي كانت تسبق كتابة أي من مسرحياته، لأن المسرحيات تحمل في مضمونها رسالة إلى فئات المجتمع كافة وخصوصاً فئة الشباب فمن أجلهم كتب مسرحية «ليتك كنت هنا» عندما شعر بتفاقم مشكلة هجرة الشباب، وفي مسرحيته «المدينة المصلوبة» توجه إلى أبناء القدس والوطن العربي، وقد تشكلت من أجلها «فرقة الهواة العشرون» وقدمت على خشبة المسرح، وأحدثت حراكاً إعلامياً لافتاً.

ومن ثم كتب مسرحية «وجبة الأباطرة» التي يسعى الاتحاد إلى تبنيها والعمل على تقديمها على خشبة المسرح، ومن مسرحياته «الطريق إلى كوجو» و«مسرحية الأدغال» وقد عبر عن دوره في المجتمع بالقول:

" صحيح أنا كاهن لكن لم أختر الكهنوت إلا لأخدم الإنسان، وشئت لكهنوتي أن يكون كهنوتاً متبتلاً لكي أكون حراً في الخدمة لكل إنسان، بدءاً من إنسان وطني، وصولاً إلى مخاطبة المسؤول الأعلى في الكنيسة الكاثوليكية في العالم للوقوف إلى جانب فلسطين في حربها مع العدو الغاصب، وعدم الصمت إزاء ما يحدث من قتل وتدمير وخراب، فالإنسان هو الإنسان بغضّ النظر عن هويته وجنسه.

وقد حضر الاجتماع أعضاء جمعيتي المسرح والقصة والرواية وعدد من أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد.

انعقاد المؤتمر السنوي لاتحاد الكتّاب العرب

السّادة الأعضاء المحترمون؛ يهديكم اتحاد الكتاب العرب أطيب تحياته، ويسرُّه أن يوجّه إليكم الدعوة لحضور المؤتمر السنوي للاتّحاد بدورته العاشرة الذي سيعقد يوم الإثنين الواقع في ٢٦ / ٢ / ٢٠٢٤ الساعة العاشرة صباحاً في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وفي حال عدم اكتمال النصاب يؤجّل انعقاد المؤتمر ساعة واحدة ثم يعقد بمن حضر.

علماً أنه يمكن الاطلاع على التقارير على موقع الاتحاد.

مع أطيب التمنيات بالنجاح والتوفيق

احتفاء بالمفكر العراقي عبد الحسين شعبان

ندوة بعنوان: «زمن فلسطين والثقافة العربية» في مبنى صحيفة السفير اللبنانية

لأن فلسطين هي البوصلة وهي الحاضر أبداً في ثقافتنا وفكرنا وتربيتنا أقيمت ندوة ثقافية وفكرية بمشاركة اتحاد الكتاب في سورية بعنوان «زمن فلسطين والثقافة العربية بحضور نوعي مميز وذلك في إطار الاحتفاء بتجربة المفكر والأكاديمي العراقي عبد الحسين شعبان بدأت الندوة بكلمة ترحيبية للدكتور سركيس أبو زيد رئيس تحرير مجلة تحولات رئيس تحرير مجلة تحوّلات، سركيس أبو زيد كلمة ترحيبية أشاد فيها بمناقبيته ودوره في الثقافة العربية، وأوضح أن الاحتفال به ليس ترفاً وإنما هو احتفاء بفلسطين واحتفاء بغزّة المقاومة، والذي رسّخ جهداً وافراً من عمله الفكري والثقافي والنضالي لفلسطين وقضايا الحريّة والعدالة.

أدارت الإعلامية والشاعرة نوال الحوار الندوة وكانت البداية مع العلامة الشيخ حسين شحادة والذي قال إن شعبان، وهو صانع اللّوبيات القانونية والحقوقية من أجل فلسطين، كلّ فلسطين، فقد شعرنا أنه يلملم شظايانا ويراجع تجاربنا بروح انتقادية منفتحة وجامعة، انطلاقًا من سؤال النهضة والحريّة والتنمية.

ثم تحدّث بعده الدكتور محمد الحوراني، رئيس اتحاد الكتّاب العرب، الذي قدم من دمشق للمشاركة في الاحتفاء بالدكتور شعبان، فقال من الصعب بمكان أن تجد أديباً بارعاً في السياسة ومن النادر أن ينجح مثقّف في الإمساك بخيوط الاقتصاد والقانون ويناقشك فيهما نقاش الخبير العارف بتفاصيلهما على اختلاف المدارس الفكرية الأدبية، فضلاً عن دفاعه عن حقوق المظلومين في أصقاع المعمورة، ولعل كتابيه "عصبة مكافحة الصهيونية" و "مذكرات صهيوني"، يضعانه في صف أبرز المؤرخين، فضلاً عمّا يملكه من براعة في التحليل وسلاسة اللغة، ما يجعل كتبه ذات قيمة عالية، وقد وظّف ذلك في خدمة القضية الفلسطينية ومقاومتها من موقعه اليساري، منتقداً بقسوة آراء كثير من المثقفين الغربيين المتحاملين عليها والراغبين بتدنيس طهرها... إنه الباحث والمفكر الأديب الأستاذ الدكتور عبد الحسين شعبان.

وتناولت د. أوغاريت يونان، المفكّرة التربوية ومؤسسة جامعة اللّاعنف علاقتها مع د. شعبان وعملهما المشترك في جامعة اللّاعنف، ليس فيما يتعلّق بكتبه، ذات القيمة الأكاديمية الرفيعة، بل بسلوكه الأخلاقي الأنيق وإنسانيته الطافحة وحبّه.

أمّا سعد الله مزرعاني، فقد قال: أحد أهم منجزاته على هذا الصعيد، هو كتابه "تحطيم المرايا"، فضلًا عن بعض استنتاجاته التي هي في غاية الأهمية، لا سيّما في التعامل مع التراث كجزء من مشروع التغيير.

الروائي مروان عبد العال عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قال: الدكتور عبد الحسين شعبان ايها السادة، نتشرفُ ونعتزُّ أنَّه رفيقُ وحبيب فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، منذُ انطلاقتها بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ وهو من صفوة حواريها الخُلّص، وأشهد أنه كان بمنزلة العقل المدبّر، الذي يستشار في مواقفها وقراراتها ووثائقها، وهو الصديق الوفيُّ لعدد كبير من قادتها الأوائل ومنهم تيسير قبعة وتناول كتابيه الأخيرين "عصبة مكافحة الصهيونية" و "مذكرات صهيوني"، كما توقّف عند كتابه "الزمن والنخب – في أنطولوجيا الثقافة العربية".

وكان آخر المتحدثين، البروفيسور شيرزاد النجار، أستاذ العلوم السياسية، فتناول علاقته بالمفكر شعبان منذ نحو ٦ عقود من الزمن، وتوقّف عند منشئه الأول عائلياً ومدينياً، ثم دوره الثقافي ولمعته الفكرية منذ سنوات الجامعة، ووصلت، إلى حفل تكريم الدكتور، رسالة من البروفيسور مكرم خوري مخّول من جامعة كامبريج – دارة فلسطين لعدم تمكنه من الحضور، أشاد فيها بالدكتور شعبان وبالجهة التي دعت إلى تكريمه كقامة فكرية عربية وأممية كبيرة، وحيّا المفكر والكاتب والصحفي نصري الصايغ الاحتفال وأشار بكلمة قصيرة إلى دور شعبان الذي يمثّل مكتبة متحركة وقرر أن ينشر كلمته الموسعة في وقت لاحق.

واختتم د. شعبان الحفل بكلمة قصيرة، قال فيها إن الاحتفاء هو بفلسطين، والاحتفال هو بالمقاومة والتضامن مع غزة.

وأعرب عن حرجه وقلقه وارتباكه إزاء ما قيل بحقه، وأضاء على عدد من القضايا أهمها التركيز على المقاومة الثقافية والقانونية والدبلوماسية، وضرورة الاستمرار بذلك.

وسلّط الضوء على بعض إجراءات محكمة العدل الدولية التي انعقدت بدعوى من حكومة جنوب أفريقيا، تلك التي تدمغ "إسرائيل" بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، وهي التي تهدد شرعية وجودها واستمرارها، مؤكداً أن هناك تحولاً بالمزاج العالمي إزاء القضية الفلسطينية وعدالتها.

واختتم شعبان بشكر النخبة المتميزة والكوكبة اللامعة، التي شاركت في إحياء هذا الحفل وفي هذه الأمسية البيروتية العربية الأممية بامتياز كما عبرَ المتحدثون.

مهرجان المربد الـ٣٥ للشعر العربي، دورة الشاعر أحمد مطر... وفلسطين ضيف الشرف

كتبت: ليندا إبراهيم

بتمام الموعد العقدي، واكتمال ألواح الشعر، كان المربد الخامس والثلاثون يتمّمُ كماله بكوكبة من نخب الثقافة والشّعر والنّقد دارسين ومهتمّين، من كافة أرجاء الوطن العربي، والمغتربين من أبنائه حول العالم، ليكون عينَ العراق التي ترمشُ جفونُها عليهم حدباءَ حانيةً، يغذّيهم نخيلُه، ويرويهم شطُّه، وتحيي أفئدتَهم محبّةُ أهله الطّيّبين حدَّ التورُّط بالمحبّة...

لم تثنهم مشقّةٌ في استحضار هذا الكم الهائل والنّوع المخيف من الشّخصيات الشعرية والثقافية والأدبية، بل الهمّةُ العالية ورثها أدباؤهم والقائمون على مفاصل الثقافة والأدب، يعضدهم عزمٌ رسميٌّ عالي المستوى على إنجاح مسعاهم، ليكتمل عقدُ المربد الأزهر على جيد البصرة الفيحاء في الفترة ٧-١٠ شباط الحالي ٢٠٢٤، وليكونوا على مستوى إرثهم الحضاري والثقافي والعلمي يوم كانت، ولاتزال، بغدادُ والبصرةُ حاضرتي الأدب والعلم والثقافة بشتى ميادينها، ولا يزال دويُّ مربدها القديم يتردّد في الذاكرة محييا أبناءها ليهبوا لاستقبال الضّيوف بقلوبهم المقبّلة شوقاً إلى كلّ ضيف يطأ أرض البصرة...

ولأنها البصرة، موئلُ الفراهيدي، والحسنُ، وواصل، ورابعة، والسَّيّاب، ومطر، وكاظم، وإلى ما سيأتي من الأعلام والشعراء سلسلة يتوارثونها أجوداً عن أجود، وشاعراً عن شاعر، فقد كانت على مستوى الاحتفاء، وبمنتهى الغبطة، تستقبل زوارها من الجو والبر، لحين وداعهم بمطر رخيم وكأن سماءها تشيعهم وداعاً، وتبارك مسعاهم...

وقد شاركت سورية بوفد من اتحاد الكتاب العرب برئاسة د. محمد الحوراني رئيس الاتحاد، وعضوية الروائي د. حسن حميد، الشاعرة ليندا إبراهيم، الشاعرة ريم البياتي، ومن خارج الاتحاد الشاعرة منال هاني، ومن خارج سورية الشاعر عبد القادر الحصني، والروائي نبيل سليمان. كما كان لافتاً حضور رؤساء الاتحادات والروابط الأدبية العرب، ووزيرة الثقافة الليبية، مع نخبة شعراء وأدباء بلدانهم...

كنا نشعر وكأننا في سوق عكاظ، أو المربد القديم، حيث قاعة للنقد والدراسات، فيها نخبة النخب من الأكاديميين والنُّقّاد والبحّاثة لأهم العناوين النّقديّة الراهنة، وقاعة للشعر حيث يصدح الشعر متعالياً عالياً يحلّق في أجواء الأرواح معانقاً صدى الأوّلين من الشعراء ممن سبقونا، تتوسطهما قاعة ضُمّنت معرضاً للكتاب، من آخر وأفخر ما أنتجه الإبداع العراقي، بحضور كثيف واهتمام رسمي لوسائل الإعلام الرسمية والحكومية والمحلية، كانت المحبّة بين القائمين على العمل منعكسة في كلّ تصرف وكلّ إجراء وكلّ اهتمام، بينما نهر الشعراء العراقيين سيلٌ جارف متواصل الأجيال لا ينقطع ولا ينبتُّ...

كانت الفنون حاضرة أيضاً، فالفرق الفنية المحليَّة ومنها من حاز درجة العالمية، من أبنائها المبدعين، الذين اكتووا بعشق العراق، والغربة عنه، فكانوا عين الإبداع أينما اتجهوا... مثل فرقة عراجين البصرة، والفنانة شوقية العطار وابنتها الفنانة بيدر البصري، والفنان والملحن العراقي الشهير جعفر الخفاف...

وفي اليوم الثاني صباحاً كانت رحلة نهرية في شط العرب إلى موقع "كرمة علي" السياحي، حيث الفن التشكيلي والشعر يتعانقان، وحيث الموائد عامرة بـ"المسقوف" و"الطرشي"... معجونة بكرم الوفادة وحسن الاستقبال...

من كل أنحاء العراق يحييك أهله الطيبون من معارفك، ممن لم يستطيعوا الحضور ليؤكدوا حرصهم على كرم الضيافة والإعانة على السفر، والتنقل والتّرحال...

وللتاريخ والأبد ووجه الشّعر أثبت النقاط التالية:

-تواؤم تلك الثُّلّة الشديدة الحبّ من أبنائه الأدباء من اتحاد الكتاب والأدباء العراقيين المركز العام، بجميع رئاسات فروعه، مع القائمين على مفاصل الثقافة في وزارة الثقافة، مع ثالوث القيادة البصري محافظة وفعاليات وأهلاً كراماً، لإنجاح المهرجان...

-الهمّة العالية والتعاضد الواضح بين السابقين والحاليين واللاحقين من الشخصيات الثقافية والأدبية ليكونوا ذوي بصمة في هذا المربد الأغر...

-برُّهم بابن البصرة الشاعر الكبير أحمد مطر، وإحياء تراثه وشعره وتاريخه واستحضاره في الأذهان وفي كل مفاصل المهرجان، برٌّ لا يغيب عن العراق وأهليه الأوفياء...

-أهل البصرة الفيحاء الودودون المضيافون الذين تلحظهم في كل منعطف حالما تشي بك لهجتك حتى يبادروا للخدمة وعبارات المحبة والسلام والابتهاج والضيافة...

قولة حق في ضيافة فلسطين تشريفاً لها من قضية محورية مفصلية والحضور الأدبي الفلسطيني، كانت العلامة الفارقة التي تقول إن الأدب والشعر حاملان للثقافة والقضايا المصيرية لأمة ستنهض من ركامها من جديد بسواعد أبنائها وتضحياتهم وإبداعهم وهممهم العالية...

شكراً ياعراق...

بارك الله بك أرضاً وشعباً وتاريخاً...

وإلى مرابد أكثر ألقاً وتطوراً..

خمسة وأربعون عاماً من الإنجازات والفعل المقاوم

أقيم في مبنى (اتحاد الكتاب العرب) ندوة بعنوان "خمسة وأربعون عاماً من الإنجازات والفعل المقاوم" قراءات في ثقافة ودعم المقاومة في مواجهة التحديات الإقليمية والعالمية والإرهاب المدعوم غربياً.

السفير الإيراني في دمشق الأستاذ الدكتور حسين أكبري، أشار إلى الظروف الإقليمية التي يواجهها محور المقاومة وثباته في الوقوف إلى جانب فلسطين وتحرير الأراضي المحتلة، مؤكداً وقوف سورية وإيران إلى جانب الشعب الفلسطيني لأن مطالبه محقة في إقامة دولته على أرضه.

نائب رئيس اتحاد الكتاب العرب رئيس تحرير جريدة الأسبوع الأدبي الشاعر توفيق أحمد الذي أدار الندوة، أشار في كلمة الاتحاد إلى بداية المقاومة في إيران منذ انتصار الثورة الإسلامية التي تحالفت مع القضايا العادلة ومنها القضية الفلسطينية ووقفت إلى جانب حق سورية في استعادة الجولان المحتل.

وتحدثت الدكتورة صفاء سلطان عن ذكرى استشهاد المقاوم اللواء قاسم سليماني، وأثر تربيته وبيئته في فكره المقاوم والقيم الأصيلة للشهادة التي كان يتحلى بها ويسلكها، وذلك لتأصيل فكره المقاوم، وما عاد إليه وتمسك به من مكارم وأخلاق دفعته لنصرة الحق ومواجهة الظلم.

وأوضح الباحث والمحلل السياسي سليم حربا أن الثورة ما زالت مستمرة بقيمها، وهذا ما تقوم به الجمهورية الإسلامية الإيرانية في محور المقاومة، فهي تتجذر وحيوية جداً، وتصمم أن تبقى حية ما دام هناك ظلم واحتلال تقوم به أمريكا والكيان الصهيوني ومن معهم وذلك من خلال كتاب ألّفاه معاً في هذا الصدد.

مدير مؤسسة أرض الشام باسل الدنيا رأى أن التشارك والتعاون مع اتحاد الكتاب العرب على غاية من الأهمية لرصد الفعل الثقافي المقاوم ومواجهة الإرهاب ودعم الحركة الثقافية وتفعيلها بشكلها الصحيح ووزع على الحضور كتاب (الحاج قاسم سليماني) تأليف للدكتورة صفاء قدور والدكتور سليم حربا وكتاب (سورية وإيران.. وحدة الهدف والمصير) لـ زبير قدوري.

وفي تصريحه، قال مسؤول الفروع في اتحاد الكتاب العرب الشاعر الدكتور جهاد بكفلوني: إن سورية من حقها أن تحرر كل أراضيها وأن تدعم الشعب الفلسطيني الذي يدافع عن كرامته وأرضه ويعمل لتحريرها.

عضو المكتب التنفيذي الأرقم الزعبي الذي مثل الباحث زبير قدوري في الحديث عن كتابه سورية وإيران أشار إلى أهمية العلاقة بين البلدين واتفاقهما على المقاومة ودعم الشعب الفلسطيني وتحقيق العدالة الإنسانية في المجتمع.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1854» الأحد 2024/2/18م
- 8 شعبان 1445هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
د.خلدون صبح

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
د.أسامة الحمود- أ.رائد خليل -
د.ماجدة حمود - د.نزار بريك هنيدي -
أ.هيلانة عطا الله

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني
alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail: alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كتب: توفيق أحمد

تَرْمي زَمَنَها على مَواقيتي

لماذا يَمُرُّ أكثرُ من شهر
على ذلك اللقاء الموغل في الدفء
وفي تلك الضاحية
وفي ذلك الطقس العدواني من البرد؟
لماذا؟ وما زالتْ سُمْرَتُها وانهمارُ حضورها يداهِمُ كُلَّ سلوكي
ويُرخي ظلالَهُ على كامل مساحات وجداني..
مَدينٌ لعُنُقُك الذي اسْتلَبَ مسارات حدقاتي
ارتضيتُك قمراً يَشُعُّ على ظلامات جوع يدي
ولكنَّ المقامَ لم يكن يسمح
لَفَحني بَرْدٌ عاصفٌ من صوبِ شفتيك
ولكنّه كان حنوناً...
كنتُ مسكوناً بالجَمال في حضرة وجْهِك -المعجزة-
كنتُ أقول -ويداي يَلُفُّهما الزمهرير-
هل سَتُصبحُ حبيبتي ولو بعد حين؟..
كيف لي أن أكْتَشفَ كُلَّ ما حولها -السابقَ والحاضرَ-؟
كيف لي أن أنْتَزِعَها منْ تاريخٍ مملوءٍ بَحَلبات الحُبّ
والغزير من الحكايات..
هي عاشقةٌ ناضجةٌ وأنا سنونو طائشٌ..
كم رأيتُ جبينَ أُمّي
يَلْتَفُّ على زيتونها القابعِ في أعماقها..
هل يا تُرى رأيتُها في زمنٍ سابقٍ عِنْد نَبعِ ما..؟
هل سَقَتْني في لحظة عَطَشٍ من حفنة يديها؟
هل رَمَتْني بوردة باسقة كانت جوارَ المجرى..؟
عليها أنْ تَعرفَ أنني مجنونٌ
بعقلٍ ناضجٍ مستقرٍّ
عندما تُواجهني سطوةُ لمى شفتيها..
لا أَعْتقدُ أنَّ عشْقَها صعبٌ إلى هذه الحدود..
جاءت من تلك المدينة حاملةً ريحاً
وأَلْقَتْها على صدري..
كان وما زال عليها أَنْ تعرف أنني عاشقٌ ليس مُؤَبَّداً..
عليها أَنْ تَرْجُمني بعبيرِ مدينتها وببابونجِ قريتها
وكبرياء العشقِ الطاغي هناكَ...
أنا لا أحْتَملُ الرواياتِ الطويلةَ..
أريدُها أن تصْفَعَني بكامل تَكْثيفها...
أريدُها أن تُقيمَ في أسراري..
أُريدُها أَنْ تُلَوِّنَ لغتي المُلوَّنةَ..
عندما رأيتُها لأول مرة
أَدْرَكْتُ أنها تستطيع أَنْ تُعيد الجاهلينَ إلى محاريب المعرفة
والمُشَرَّدينَ إلى أوطانهم..
من المُؤَكَّد أنَّ قاربي الذي تشتهينَ
سيرسو على مينائك خلال الربيع القادم..
ستُضيءُ لنا النوارسُ المنارات العاتمةَ على الشَّطّ..
فأنت حُريَّةٌ ما بَقي في خاطري من القيود..
وأعتقدُ أنني سأُعلنُ نهايةَ بحثي
في معاجم لغات العيون واللَّهَفات
عندما سيصلُ موكبي المَهيبُ إلى ساحاتك الخصيبة
هوًى جارفٌ نازفٌ قادمٌ
أَتَحمَّلُ كُلَّ تَبعاته..
طال انتظاري
وأنت تختبئين وراءَ مُويجات ذلك البحر..
وعليك بعد الآن
أنْ تتأكّدي أنني لستُ فولاذاً في سُوْرٍ ما..
أَبْعدي الخرافات عنّي
وارْمِ زَمَنَك على مواقيتي..
حُلّي عُقَدَ غيابنا الباهت ونَقّري كرومي..
سَأصيرُ لك خمراً في المساء..
وغناءً في الصباح..
تآلفي مع غرائبي..
كما تتآلفُ الغزلانُ مع صيّاديها..
استحمّي في مداراتي..
واسْتفيضي أُنوثةً واشْتعالاً
وضوءاً وإيماناً راسخاً في مَعْبَدي..
أَغْلقي جِرارَك على صانعيّ أوهام الظمأ..
وانتصري على حصوني..
هدِّمي قلاعي..
اعْبُري أيامي..
اطْلَعي شمساً على محاصيلي الطازجة..
كنت مَنيعةً بالغياب..
افْرُشي مواعيدَك على حضورنا المُقَدَّس..
أنت الوعدُ القادمُ من ساحل الهوى الكريم
إلى المنتظرينَ الإمساكَ بثوبك
استعداداً لحياة جديدة..
أنت زهرةُ هذا الموسم..
لقد عانيْتُ من وَداعتك ما عانَيْتُ..
وثقي أنني عندما سَأغيبُ في زحام أمواجك
لن أعودَ إلى الشاطئ أبداً